

شرح
مقدمة الإمام الدارمي
رحمه اللّه

أ.د /

بندر بن نافع العبدلي

حفظه الله

تم تفريغ المادة من قبل مكتب الإمام المزي
للتفريغ الصوتي والبحث العلمي
للتواصل واتساب/٠٠٢٠١١٢٨١٦٣٨٢١







المجلس الأول

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاعُ الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنَهُ الشَّيْطَان فِي قُلُوبِ بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَةَ لَـهُم.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:-

أيها الإخوة، فإنه في مطلع هذه الدورة ينبغي أن يتذكر الإنسان أن طلب العلم من أَجَلِّ الطاعات، وأفضل القربات، وأنه طريقٌ إلى جنة الله ومرضاته.

✍ قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّم-: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّة» فهو طريق الجنة.

والإنسان إذا نوى به النية الصالحة رفعه الله به درجات؛ **ولهذا قال الإمام أحمد**: {العلم لا يعدله شيءٌ لمن صحت نيته} .

فإذا صحت نيتك برفع الجهل عن نفسك، ورفع الجهل عن الآخرين، وإن يكون هذا العلم نبراسًا لك تصل به إلى مرضاة الله سبحانه ودار كرامته، كان زادًا لك في الدنيا، ورفعةً لك في الدنيا والآخرة ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:١١].

ودرسنا معاشر الإخوة الأفاضل، هو في التعليق على [مقدمة الإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي]. وهذه المقدمة قبل أن نتكلم عن المقدمة أو نشرع في التعليق عليها.

✍ **يقال:** الدارمي -رَحِمَهُ الله- هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل السمرقندي، يُكنى بأبي محمد، ويُعرَف بالدارمي، المولود سنة مئة وواحد وثمانين للهجرة، أما كتابه، فهو [سنن الدارمي].

❄ **وقد افتتحه -رَحِمَهُ الله- بمقدمةٍ حافلة اشتملت على:**

⇐ دلائل النبوة.

⇐ واتباع السنة.

⇐ والتحذير من البدع.

⇐ وآداب طالب العلم.

وأفاض في ذلك جدًّا بذكر الأحاديث، والآثار، ولم يشترط -رَحِمَهُ الله- في مقدمته، بل في كتابه الصحة، وإنما يذكر ما يقف عليه من الأحاديث والآثار بسنده.

✍ **وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ الله-:** {وكذلك الإمام أبو محمد الدارمي صاحب المسند ابتدأ كتابه بدلائل النبوة، وذكر في ذلك طرفًا صالحًا، وهذان الرجلان -يعني -رَحِمَهُ الله- يعني البخاري والدارمي- أفضل بكثير من مسلم والترمذي ونحوهما؛ ولهذا كان الإمام أحمد -رَحِمَهُ الله- يعظِّم هذين ونحوهما؛ لأنهما فقهاء في الحديث أصولًا وفروعًا}. انتهى كلامه -رَحِمَهُ الله-.

لكن لا يخفاك أنه يذكر من الأحاديث والآثار ما يقف عليه في الموضوع الذي يذكره في مقدمته، وكذا سائر كتابه، لكنه يذكره بسنده.

✍ **وقد قيل**: {من أسند لك، فقد برأت ذمته}. أو يعني من أسند لك فقد أحال الأمر إليك وبرأت عهدته. وقد جرى على ذلك كثيرٌ ممن صنف في كتب السنن، والمسانيد يذكرون بعض الأحاديث الضعيفة، وربما الموضوعة، لكن بأسانيدهم إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آله وسلم-.

وقد قام أحد الباحثين -جزاه الله خيرًا- بتحقيق هذه المقدمة، والحكم على الأحاديث والآثار فيها، مع التخريج أحيانًا والتعليق اليسير، وفاته شيءٌ كثير، فاته تخريج الأحاديث والآثار، وكذلك فاته ذكر الفوائد والدروس والعبر، وفاته بعض التخريج. فهذه المقدمة أيضًا لا تزال بحاجة إلى تخريجٍ موسع، وكذلك الحكم على الأحاديث والآثار.

❄ **هذه المقدمة ابتدأ الدارمي -رَحِمَهُ الله- ذكر في مطلع المقدمة:**

كيف كان الناس قبل مبعث النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وأنهم كانوا يعبدون الأحجار والأشجار.

✍ كما ذكر الله -تَبَارَك وَتَعَالَى- ذلك عنهم في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى (٢١)﴾[النجم:١٩-٢١] وهذا ظاهر في الآثار، الأحاديث والآثار التي ساقها -رَحِمَهُ الله-.

(فقد قَالَ هَارُونُ بن معاوية: **"كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا سَافَرَ، حَمَلَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ أَحْجَارٍ ثَلَاثَةٌ لِقِدْرِهِ وَالرَّابِعُ يَعْبُدُهُ، وَيُرَبِّي كَلْبَهُ، وَيَقْتُلُ وَلَدَهُ"**).

✍ وقوله: (**يَقْتُلُ وَلَدَهُ**) يعني الموءودة، يعني أنهم يئدون البنات.

✍ وقد ذكر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ذلك عنهم، فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[النحل:٥٨].

✍ وقال الله -سبحانه وبحمده-: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾[التكوير:٨-٩].

❄ **ثم ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- ذكر بعد ذلك ما يتعلق بدلائل النبوة:**

فذكر:

- **(صِفَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ- قَبْلَ مَبْعَثِهِ).**
- **(وَأَنَّه -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- لَا فَظًّا وَلَا غَلِيظًا، وَلَا صَخَّابًا بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِر).**

وهذا الذي وصفه به أعداؤه، فقد كان يوصف بأنه الصادق الأمين، يصفونه بذلك، فهو -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- صادقٌ في حديثه، أمينٌ في معاملته مع الخلق.

❄ **وذكر أيضًا فيما يتعلق بـ(كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ شَأْنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟):**

ذكر من الأحاديث والآثار ما يدل على ذلك، وأن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- حين حملت به أمه.

ذكر حديث أن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- قد شُقَّ صدره مرتين، وهذا ثابت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك.

وقد وقع كما عرفت مرتين:

- **المرة الأولى:** حين أسري بالنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.
- **والمرة الأخرى:** وهو صغير يلعب مع الصبيان أتاه جبريل فشق صدره.

فهو ثابتٌ مرتين.

وقد ذكر المصنف عندكم الأحاديث والآثار الواردة في ذلك.

❄ ثم ذكر بعد ذلك المصنف: (مَا أَكْرَمَ اللهُّ -سبحانه وبحمده- بِهِ نَبِيَّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ إِيمَانِ الشَّجَرِ، وَالْبَهَائِمِ، وَالْجِنِّ به).

☚ وهذا ظاهر في بعض الأحاديث والآثار التي ساقها المصنف -رَحِمَهُ الله-، ومنها:

⇦ (عَنْ جَابِرِ بْنِ عبد الله -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ») وهذا من آيات النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ومن دلائل نبوته أن يسلم عليه الحجر.

⇦ وكذلك منها: حديث (ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- قَالَ: "أَتَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ له النبي -عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلَام-: «أَلَا أُرِيكَ آيَةً؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَاذْهَبْ فَادْعُ تِلْكَ النَّخْلَةَ» فَدَعَاهَا، فَجَاءَتْ تَنْقُزُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: قُلْ لَهَا تَرْجِعْ، قَالَ لَهَا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ارْجِعِي» فَرَجَعَتْ حَتَّى عَادَتْ إِلَى مَكَانِهَا").

❄ ثم ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- من الآيات التي أُوتيها النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ تَفْجِيرِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ)

وهذا ثابت في عدة أحاديث ساقها المصنف عندكم، وهي وإن كان في بعضها ضعف، لكن بعضها ثابت في الصحيحين، ومن ذلك:

⇦ ما ساقه المصنف حديث (جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهَّ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: "أَصَابَنَا عَطَشٌ فَجَهَشْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَسُولِ اللهَّ -صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَوَضَعَ يَدَهُ فِي تَوْرٍ، فَجَعَلَ يَفُورُ كَأَنَّهُ عُيُونٌ مِنْ خَلَلِ أَصَابِعِهِ"، وَقَالَ: «اذْكُرُوا اسْمَ اللهَّ»، فَشَرِبْنَا حَتَّى وَسِعَنَا وَكَفَانَا".

⇦ (وَفِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قُلْنَا لِجَابِرٍ: "كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: كُنَّا أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةٍ وَلَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا").

وفي هذا دليل على آية من آيات النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وهو تفجير الماء من بين أصابعه. وهذا يدل على بركته، ويدل على أنه رسول الله حقًّا.

☜ **وهنا تنبيه!** يقال: آية، ولا يقال: معجزة، فالتعبير بالآية أولى وأكمل من التعبير بالمعجزة؛ لأن هذا هو الذي ورد في الكتاب والسنة.

☚ ثم أشار المصنف -رَحِمَهُ الله- بعد ذلك: من الآيات التي أوتيها النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- (حنين الجذع له عندما تركه) وهذا ثابت في الصحيح البخاري.

⇦ (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ الله عَنْهُ-، قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَخْطُبُ إِلَى خَشَبَةٍ، فَلَمَّا صُنِعَ الْمِنْبَرُ فَجَلَسَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَنَّتْ حَنِينَ الْعِشَارِ") يعني الجذع ("حَتَّى وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ") وهذا يدل على آية من آيات النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وأنه رسول الله حقًّا، فإذا كان هذا الجذع يحن إليه، دل على أنه رسول الله، وأن ما أوتيه عن ربه سبحانه حق.

⇦ ومنها كذلك: ما ذكره المصنف حديث (ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ الله عَنْهُما- قال: "أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَ الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ وتَحَوَّلَ إِلَيْهِ حَنَّ الْجِذْعُ، فَاحْتَضَنَهُ، فَسَكَنَ، وَقَالَ: «لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»").

❄ **ومن ذلك أيضًا: ما أكرم به الله -سبحانه وبحمده- رسوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- من بركة الطعام.**

وهذا ظاهر في أحاديث كثيرة ساق المصنف عندكم بعض الأحاديث. ومنها:

⇦ (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: أَمَرَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنْ تَجْعَلَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَعَامًا يَأْكُلُ مِنْهُ، قَالَ: ثُمَّ بَعَثَنِي أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: بَعَثَنِي إِلَيْكَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ لِلْقَوْمِ: «قُومُوا» فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ الْقَوْمُ مَعَهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا صَنَعْتُ طَعَامًا لِنَفْسِكَ خَاصَّةً؟ فَقَالَ: «لَا عَلَيْكَ انْطَلِقْ»، قَالَ: فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقَ الْقَوْمُ، قَالَ: فَجِيءَ بِالطَّعَامِ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وسَلَّمَ- يَدَهُ وَسَمَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ»، قَالَ أبو طلحة، قال: فَأَذِنَ لَهُمْ، فَقَالَ: «كُلُوا بِاسْمِ اللهِ» فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ قَامُوا، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ كَمَا صَنَعَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، وَسَمَّى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ». فَأَذِنَ لَهُمْ فَقَالَ: «كُلُوا بِاسْمِ اللهِ» فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ قَامُوا، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بِثَمَانِينَ رَجُلًا، قَالَ: "وَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَهْلُ الْبَيْتِ وَتَرَكُوا سُؤْرًا") يعني بقية.

وهذا يدل على بركة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وأن ما حصل هو من آياته التي أيده الله بها على نبوته ورسالته.

✪ **وهنا فائدة:** هنا فيه ذكر السبب وهو أن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- سمى الله، ولا يخفاك أن التسمية على الطعام على القول الراجح واجبة؛ لأن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «يَا غُلَام، سَمِّ الله، وَكُل بِيَمِنِك، وَكُل مِمَّا يَلِيك» وهي مع كونها من آداب الطعام الواجبة هي أيضًا سببٌ لحلول البركة.

(أَرَأَيْتَ الْإِنْسَان إِذَا سَمَّى عَلَى طَعَامه، فَإِنَّ الشَّيطَان يَقُول لِأَعْوَانِهِ: لَا مَبِيتَ لَكُم وَلَا عَشَاء. وَإِذَا كَانَ قَبْلَ ذَلِك، قَال: بِسْم الله عِنْدَ دُخُول الْبَيْت، قَالَ: لَا مَبِيت لَكُم وَلَا

عَشَاء). فإذا ذكر الإنسان ربه وسمى عند دخول البيت، وعند أكل الطعام حصلت له هذه الفائدة، وهو أن الشيطان لا يشاركه لا في طعامه، ولا في مبيته.

❄ **ثم ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- بعد ذلك: ما أكرم الله به رسوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- من بعض الفضائل: ومنها: أنه أول شافعٍ يوم القيامة:**

⇦ فقد ثبت (**عَنْ أَنَسٍ بن مالك -رَضِيَ الله عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:** «**أَنَا أَوَّلُ شافعٍ فِي الْجَنَّةِ**»).

وأنت لا يخفاك أن الشفاعة في الأصل هي التوسط للغير بجلب منفعةٍ، أو دفع مضرة.

والشفاعة التي أعطيها النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- تنقسم إلى خمسة أقسام، لكن أعظمها وأفضلها وأكملها هي الشفاعة العظمى التي يتنازل عنها الأنبياء أولي العزم لنبينا -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، يذهب الناس عندما يلحق الناس ما يلحقهم من الضنك والأذى في عرصات القيامة يذهبون إلى إبراهيم، ثم نوح، ثم موسى، ثم عيسى، ثم إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فيقول: «**أَنَا لَهَا**» فيسجد تحت العرش ويقال له: «**سَل تُعْطَى، واشْفَع تُشَفَّع**». هذه هي الشفاعة العظمى التي أعطيها النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّم-.

☜ **وهناك شفاعاتٌ أخر:**

- **فمن تلك الشفاعات:** شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها.
- **ومن شفاعته أيضًا:** شفاعته في رفعة الدرجات لأهل الجنة، رفعة الدرجات.

ومن ذلك حديث أبي عامر أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «**اللَّهُمَّ اغْفِر لِأَبِي عَامِر وَاجْعَله يَوْم الْقِيَامَة فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِك**».

◆ **ومنها أيضًا من الشفاعات:** شفاعته في خروج الموحدين من النار ودخول الجنة.

فالمقصود أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- له خمس شفاعات، لكن أعظم الشفاعات التي أعطيها هي التي سمعت وهي الشفاعة العظمى التي يتنازل عنها الأنبياء أولو العزم.

❄ **ثم بعد ذكر ما ذكره المصنف -رَحِمَهُ الله- في المقدمة ما يتعلق بخلق النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، (حُسْنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-).**

وأنه كما وصفه الواصفون، ومنهم:

⇦ **(أَنَس بن مالك -رَضِيَ الله عَنْهُ-، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَزْهَرَ اللَّوْنِ، كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ، وَمَا مَسَسْتُ حَرِيرَةً وَلَا دِيبَاجَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّهِ، وَلَا شَمِمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْيَبُ مِنْ رَائِحَتِهِ مِسْكَةً وَلَا غَيْرَهَا").**

وهذا يدل على كما قال -رَضِيَ الله عَنْهُ- يدل على اللين، خلق النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- وحسنه ولطافته، وكما قال -رَضِيَ الله عَنْهُ-: (**"وَلَا شَمِمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْيَبُ مِنْ رَائِحَتِهِ"**).

❄ **ومن ذلك أيضًا: (مَا أَكْرَمَ اللهُّ -عَزَّ وَجَلَّ- بِهِ نَبِيَّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ كَلَامِ الْمَوْتَى)**

فقد ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- مجموعة من الأحاديث.

⇦ والحديث المشهور وهو حديث أبي سلمة -رَضِيَ الله عَنْهُ- قال: **(عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: كَانَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ، فَأَهْدَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ يَهُودِ خَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً)** الحديث المشهور «**مَا زَالَت أَكْلَة خَيْبَر تُرَاوِدُنِي، وهَذَا أَوَانُ**

انْقِطَاعِ الأَبْهُرِ مِنِّي») هذا الحديث ضعيف مرسل، لكن في أحاديث أخر تدل على ذلك ساقها المصنف -رَحِمَهُ الله- عنده.

❄ **ومن ذلك: (سَخَاءِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-)**

من دلائل النبوة سخاؤه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّم-. وهذا ثابت في عدة أحاديث ساقها المصنف، ومن ذلك:

⇦ **(عَنْ جَابِرٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: "مَا سُئِلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا" قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: "قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ وَعَدَ").**

✪ **وفي هذا فائدة**: وهي أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- لا يمنع شيئًا طلبه أحدهم منه؛ ولهذا:

⇦ **(جَاءَه رَجُل فَسَأَلَه عَطَاءً، فَأَمَرَ لَهُ بِغَنَمٍ بيْنَ جَبَلَيْنِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ: يا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لا يَخْشَى الفَاقَةَ).**

⇦ وكذلك قول (**ابن عباس -رَضِيَ الله عَنْهُ-**) وسيأتي، سيشير إليه المؤلف -رَحِمَه الله-: (**"كَانَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُون فِي رَمَضَانِ"**).

(**أَجْوَدَ النَّاس**) **هذا الشاهد**؛ يعني أنه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- بجوده وكرمه لا يرد سائلًا.

✍ وهذا عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ينطبق عليه قول القائل:

مَا قَالَ: لا قطُّ، إلاّ في تَشَهُّدِهِ ... لَوْلا التّشَهّدُ كانَتْ لاءَهُ نَعَمُ

طبعًا هذا البيت لم يقال في النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-، لكن أحق من يوصف به هو نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّم-.

❁ **ثم ذكر المصنف -رَحِمَه الله- ما يتعلق بدلائل النبوة وتواضعه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-:**

وأنه من أكثر الناس تواضعًا، وأنه لا يستنكف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين، وتأخذ بيده المرأة لحاجتها، ثم يقضي لها حاجتها. وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يقتدي بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في ذلك، وأن يتواضع للخلق، فإن من تواضع للخلق أحبه الخلق، وأحبه رب الخلق، ورفعه الله.

✍ قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «مَنْ تَوَاضَعَ لله رَفَعَه».

وإذا أردت أن يحبك الناس ويحبك الخلق فتواضع معهم، وليكن جانبك لينًا معهم وارفق بهم، وأحسن إليهم، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:١٩٥].

❁ **ثم ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- بعد ذلك وختم به (وَفَاةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-)**

وذكر أحاديث كثيرة في وفاته، وكيف حصلت وفاته؟ وكيف أصيب الصحابة -رَضِيَ الله عَنْهُم- بوفاته؟ وكيف أن بعض الصحابة -رَضِيَ الله عَنْهُم- أنكروا وفاة النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-؟

⇦ من ذلك: أن عمر -رَضِيَ الله عَنْهُ- كان يقول: **"لا، لم يمت، رسول الله لم يمت"** حتى جاء أبو بكر -رَضِيَ الله عَنْهُ- وخطب الناس، وقال: **"من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت"**، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا

﴿مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[آل عمران:١٤٤] قال عمر -رَضِيَ الله عَنْهُ-: **"فلم أستطع"** يعني كأن هذه الآية كأنها لم أسمع بها إلا الآن، إلا الساعة، فلم تحمله قدماه، ثم نزل -رَضِيَ الله عَنْهُ- وأقر بأن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قد مات.

وقد أصيب الصحابة، بل أصيبت الأمة بموته -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- مصيبةً عظيمة؛ ولهذا كان الصحابة -رَضِيَ الله عَنْهُم- يتألموا كثيرًا.

⇦ كما ذكر المصنف: (**فَاطِمَةَ بنت قيس قَالَتْ: "يَا أَنَسُ، كَيْفَ طَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- التُّرَابَ؟! وَقَالَتْ: يَا أَبَتَاهْ مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهْ وَاأَبَتَاهْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ وَاأَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ، وَاأَبَتَاهْ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهْ". قَالَ حَمَّادٌ: حِينَ حَدَّثَ ثَابِتٌ بَكَى، وقالَ ثَابِتٌ حِينَ حَدَّثَ بِهِ أَنَسٌ -رَضِيَ الله عَنْهُ- بَكَى"**).

⇦ وكذلك ما ورد (**عَنْ أَنَسٍ بن مالك -رَضِيَ الله عَنْهُ-، وَذَكَرَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "شَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ، كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَشَهِدْتُهُ يَوْمَ مَوْتِهِ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ، وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ-"**).

فقد أصيب المسلمون بموته -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- مصيبةً عظيمة، لكن الله سبحانه أجرى حكمته بذلك، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾[الزمر:٣٠-٣١].

❄ **ثم ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- بعد ذلك: (مَا أَكْرَمَ اللَّهُ سُبْحَانه بِهِ نَبِيَّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْدَ مَوْتِهِ).**

ولم يثبت في هذا الباب حديثٌ صحيح.

ثم بدأ المصنف -رَحِمَهُ الله- بعد هذا الفصل الكامل باتباع ما يتعلق بدلائل النبوة، واتباع السنة، من هذا الباب إلى آخر المقدمة هي، هي يعني هي الأصل في المقدمة التي أراد المصنف -رَحِمَهُ الله- كتابتها:

- اتِّبَاعِ السُّنَّةِ.
- والتحذير من البدع.
- وكذلك آداب طالب العلم.

وَاللهُ الْـمُوَفِّق.

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاع الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنَهُ الشَّيْطَانِ فِي قُلُوب بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَة لَهُم وَيُحَسِّنُهَا فِي أَعْيُنَهم، وَرُبَّمَا قَلَّلَ أَوْ عَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمُعْصِيَة؛ قَلَّلَ مِنَ شَأْنِ الْبِدْعَة، وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمُعْصِيَة؛ حَتَّى يُقْبِلُوا عَلَى الْبِدْعَةِ، وَيَبْتَعِدُوا عَن الْمُعْصِيَةِ.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المجلس الثاني

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاع الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنَهُ الشَّيْطَان فِي قُلُوب بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَةَ لَـهُم.

بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ إن شاء الله تعالى بالقسم الثاني من بعد هذا الفاصل نبدأ بالتعليق على المقدمة [مقدمة الإمام الدارمي -رَحِمَه الله- لسننه].

وقد بدأ -رَحِمَه الله- بباب (اتباع السنة) والسنة، اعلم أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهي وحي.

✍ قال الله -تَبَارَك وَتَعَالَى-: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥)﴾[النجم:٣-٥].

✍ وقال الله -تَبَارَك وَتَعَالَى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩].

﴿الذِّكْرَ﴾ على القول الراجح من قول العلماء يشمل القرآن والسنة، وقد رجح ذلك بعض أهل العلم وهو الصحيح.

ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- ما يتعلق باتباع السنة، ونقرأ الأحاديث أو الآثار، بعض الأحاديث الواردة ثم نعلق عليها.

سمِّ الله.

(المتن)

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله.

(بَابُ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ)

↩ أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِمٍ، أَخْبَرَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، قال: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ-، قَالَ: "صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَاةَ الْفَجْرِ، ثُمَّ وَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ؟ فَأَوْصِنَا. فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى

اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسَنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ» وقالَ أَبُو عَاصِمٍ مَرَّةً: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

➥ قال: أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ حَسَّانَ، قَالَ: "مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللَّهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا، ثُمَّ لَا يُعِيدُهَا إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ".

➥ وقال: أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، أنه قَالَ: "إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ، فَجَرِّبْهُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْتَحِلُ قَوْلًا أَوْ قَالَ: حَدِيثًا فَيَتَنَاهَى بِهِ الْأَمْرُ دُونَ السَّيْفِ، وَإِنَّ النِّفَاقَ كَانَ ضُرُوبًا، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[التوبة:٧٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[التوبة: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾[التوبة: ٦١] فَاخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا، فِي الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، وإِنَّ هَؤُلَاءِ اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا فِي السَّيْفِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ". قَالَ حَمَّادٌ: ثُمَّ قَالَ أَيُّوبُ عِنْدَ ذَا الْحَدِيثِ أَوْ عِنْدَ الْأَوَّلِ: "وَكَانَ وَاللَّهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ ذَوِي الْأَلْبَابِ" يَعْنِي: أَبَا قِلَابَةَ.

(الشرح)

طبعًا هذه الأحاديث نحن نختار اختيار من كل باب نختار أحاديثًا يعني سبب هذا الاختيار هو صحة الأحاديث من ناحية، وقوتها من ناحيةٍ أخرى، وكذلك صراحتها على المراد من الباب.

في هذا الباب ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- حديث (**العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ**) وهو حديثٌ عظيم، وهو أحد أحاديث [الأربعين النووية] التي جعلها المصنف -أعني النووي رَحِمَهُ الله- كل حديث منها قاعدة من قواعد الدين.

☚ وهذا الحديث إسناده لا بأس به من مجموع طرقه وشواهده.

✪ **والشاهد من هذا الحديث**: قوله: («**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**») يعني الزموها، والمراد بذلك: تطبيقها في العبادات والمعاملات.

⮈ **ولهذا العبادة لا تقبل إلا بشرطين:**

- أن تكون خالصة لله.
- وأن يكون المرء متبعًا فيها رسول الله.

✍ قال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[النساء:١٢٥].

⇐ ﴿أَحْسَنُ﴾ يعني أخلص.

⇐ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يعني وهو متبعٌ رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

✍ ثم قال: («**وَإِيَّاكُمْ وَالْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ**»).

⇦ ثم أشار حسان بن عطية -رَحِمَهُ الله- في قوله: (**"مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا، ثُمَّ لَا يُعِيدُهَا إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"**) هذه من عقوبة من أعرض عن السنة وأخذ البدعة، فإن من أعرض عن السنة يعاقب بأن يُحرَمها، ويُحرَم تطبيقها، ثم إنه يقول: لا تعود إليه إلى يوم القيامة.

✍ **والبدعة**: هي ما أُحدِث في الدين على خلاف ما جاء به النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- من عقيدةٍ، أو قولٍ، أو عمل.

⇦ ثم ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- في الأثر الثالث: أن أهل الأهواء مصيرهم إلى النار (**"إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارَ"**) وهذا ظاهر؛ لأن من اتبع هواه كان مصيره النار، ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾[الجاثية:٢٣].

⇦ وقال -رَحِمَهُ الله- بعد ذلك: (**فَاخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا، فِي الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ**) لاحظ! هذا صفتهم: الشك والتكذيب لما جاء به النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

ثم لاحظ!

✍ قال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)**﴾[النازعات:٤٠-٤١].

✍ والآية التي قبلها: ﴿**فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩)**﴾[النازعات:٣٧-٣٩].

طبعًا لا شك أن أهل الأهواء فيهم طغيان، وفيهم تأثيرٌ لهواهم على رضا مولاهم.

(المتن)

(بَابُ التَّوَرُّعِ عَنِ الْجَوَابِ فِيمَا لَيْسَ فِيهِ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ)

← قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: **أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ يَحْيَى قَالَ: "قُلْتُ لِلْقَاسِمِ: مَا أَشَدَّ عَلَيَّ أَنْ تُسْأَلَ عَنِ الشَّيْءِ لَا يَكُونُ عِنْدَكَ، وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ**

إِمَامًا؟"، قَالَ: "إِنَّ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللهِ أَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ أَرْوِيَ عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ".

(الشرح)

هذا ما يتعلق بقول القاسم -رَحِمَهُ الله-، هذا ظاهر: أن مراده التحذير من الإفتاء بغير علم، التحذير من الإفتاء والقول على الله بغير علم، وهذا كما لا يخفاك سيجعل له المصنف بابًا مستقلًّا، قرنه الله سبحانه بحمده بالإشراك به، ولا لا؟ قرنه الله -سبحانه وبحمده- بالإشراك به.

★ **ماذا قال الله -عَزَّ وَجَل- في الآية في سورة الأعراف؟**

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾[الأعراف:٣٣] هذا لاحظوا! ﴿أَنْ تُشْرِكُوا﴾ هذا إشراك بالله ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣].

وقد قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- في الحديث المتواتر: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مِقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». ولا شك أن الإفتاء والقول على الله بلا علم هو نوع في الواقع تحديث عن النبي وعن الله -عَزَّ وَجَل-.

⇦ ثم قال: (أَوْ أَرْوِيَ عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ) يعني الرواية عن غير ثقة أيضًا لا تجوز؛ لأن من شروط الحديث الصحيح: هو الرواية عن ثقة، ومن يروي عن غير ثقة، فإنه يروي أحاديث ضعيفة باطلة؛ فعندك الإفتاء بغير علم محظور، وكذا الرواية عن غير ثقة.

✪ **وهذا هو الشاهد من قول المصنف -رَحِمَهُ الله-:** (التَّوَرُّعِ عَنِ الْجَوَابِ فِيمَا لَيْسَ فِيهِ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ).

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ كَرَاهِيَةِ الْفُتْيَا)

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- قَالَ: "مَا رَأَيْتُ قَوْمًا كَانُوا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا سَأَلُوهُ إِلَّا عَنْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً حَتَّى قُبِضَ، كُلُّهُنَّ فِي الْقُرْآنِ، مِنْهُنَّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾[البقرة:٢١٧]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾[البقرة: ٢٢٢] قَالَ: "مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ إِلَّا عَمَّا يَنْفَعُهُمْ".

قال: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَنبَأَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: "لَمَنْ أَدْرَكْتُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَكْثَرُ مِمَّنْ سَبَقَنِي مِنْهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَيْسَرَ سِيرَةً، وَلَا أَقَلَّ تَشْدِيدًا مِنْهُمْ".

وقال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: أَخْبَرَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ سُفْيَانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ حُبَابٍ، أَخْبَرَنِي رَجَاءُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ سَمِعْتُ عُبَادَةَ بْنَ نُسَيٍّ الْكِنْدِيَّ وَسُئِلَ عَنِ امْرَأَةٍ مَاتَتْ مَعَ قَوْمٍ لَيْسَ لَهَا وَلِيٌّ، فَقَالَ: "أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا مَا كَانُوا يُشَدِّدُونَ تَشْدِيدَكُمْ، وَلَا يَسْأَلُونَ مَسَائِلَكُمْ".

(الشرح)

في هذا الباب ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- ما يتعلق بـ(كَرَاهِيَةِ الْفُتْيَا).

وأنه ينبغي للإنسان أن يتحرز منها، وأن يكل العلم إلى أهله، وأن يَكِل الجواب لأهل العلم، قال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء:٧].

وكما أنه ينبغي للإنسان أن يتحرز من الفُتْيَا بغير علم، فليتذكر حال أصحاب رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وسلف الأمة، وأئمتها.

⇦ فانظر إلى الصحابة كما قال ابن عباس: (**ما سألوا النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- إِلَّا عَنْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً حَتَّى قُبِضَ، كُلُّهُنَّ فِي الْقُرْآنِ**).

⇦ وكذا كذا كما قال عمير بن إسحاق: (**"لمن أَدْرَكْتُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَكْثَرُ مِمَّنْ سَبَقَنِي مِنْهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَيْسَرَ سِيرَةً، وَلَا أَقَلَّ تَشْدِيدًا مِنْهُمْ"**).

يعني أنهم كانت أمورهم ببساطة وسهلة، ولم يكن عندهم تعنت ولا تنطع، ولم يكونوا يتجرؤون على الفُتيا، ما داموا أنهم لم يسألوا النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- إلا هذه المسائل الثلاث عشرة.

⇦ وكذلك قول (**عُبَادَةَ بْنَ نُسَيٍّ الْكِنْدِيَّ**).

✪ **الشاهد قوله**: (**"وَلَا يَسْأَلُونَ مَسَائِلَكُمْ"**) يعني كثرة مسائلكم.

ولا يخفاك أن كثرة المسائل بلا حاجة لا تنبغي؛ ولهذا قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «**فَإِنَّ مَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم كَثْرَة مَسَائِلِهِم، وَاخْتِلَافِهِم عَلَى أَنْبِيَائِهِم**»، «**كَثْرَة مَسَائِلِهِم**».

★ **لكن السؤال إذا كان لحاجة، وهو الذي يتعلق بأمور الدين مما يحتاجه العبد في أمور دينه وعقيدته لا بد أن يسأل عنه، لكن يسأل عنه من؟**

يسأل عنه أهل العلم المتخصصين فيه.

(المتن)

← قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بابُ مَنْ هَابَ الْفُتْيَا وَكَرِهَ التَّنَطُّعَ وَالتَّبَدُّعَ)

← قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، قَالَ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ لَا عِلْمَ لِي بِهِ مِنَ الشَّعْبِيِّ".

← وقال: أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، يَقُولُ: "لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ عِشْرِينَ وَمِائَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ الْحَدِيثَ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْ فُتْيَا إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ الْفُتْيَا".

← وقال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ قُدَامَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ مِسْعَرٍ قَالَ: أَخْرَجَ إِلَيَّ مَعْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ كِتَابًا، فَحَلَفَ لِي بِاللَّهِ أَنَّهُ خَطُّ أَبِيهِ، فَإِذَا فِيهِ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَنَطِّعِينَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ-، وَإِنِّي لَأَرَى عُمَرَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- كَانَ أَشَدَّ خَوْفًا عَلَيْهِمْ أَوْ لَهُمْ".

← وقال: أَخْبَرَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَزْهَرُ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: "مَا دَامَ عَلَى الْأَثَرِ فَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ".

← وقال: أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، وَيَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: "تَلَا رَسُولُ اللَّهِ -

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[آل عمران: ٧]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَاحْذَرُوهُمْ»".

⬅وقال: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَانَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَنْ فِرَاسٍ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- فَقَالَ فَتًى: مَا تَقُولُ يَا عَمَّاهُ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أَكَانَ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَعْفِنَا حَتَّى يَكُونَ".

⬅ وقال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ: "كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُجِبْ فِيهِ إِلَّا جَوَابَ الَّذِي سُئِلَ عَنْهُ".

⬅ وقال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: "تَعَلَّمُوا، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُخْتَلَفُ إِلَيْهِ".

(الشرح)

ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- في هذا الباب ما يتعلق بـ(مَنْ هَابَ الْفُتْيَا وَكَرِهَ التَّنَطُّعَ وَالتَّبَدُّعَ فِي الدين).

⇦ وذكر قول (عُمَرَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ: لَا عِلْمَ لِي بِهِ مِنَ الشَّعْبِيِّ").

والشعبي هو عامر بن شراحيل -رَضِيَ الله عَنْهُ ورحمه- فكان يقول فيما لا علم له به: (**لَا عِلْمَ لِي بِهِ**) وسيأتي عند المصنف -إن شاء الله تعالى- من آداب طالب العلم: أن يقول للشيء لا يعلمه: لا أعلم، أو لا أدري، وذكر أن أهل العلم ذكروا: {أن نصف العلم قول: لا أدري}.

⇦ وذكر أيضًا قول (عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى -رَحِمَهُ الله-: **"أَدْرَكْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ عِشْرِينَ وَمِائَةً مِنَ أصحاب النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ الْحَدِيثَ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْ فُتْيَا إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ الْفُتْيَا أو الجواب"**).

وهذا كله يدل على تحرزهم -رَضِيَ الله عَنْهُم- واحترازهم عن الفتيا، وعدم التسابق والتسارع إليها.

وأنت ترى حال بعض طلبة العلم في زمننا ربما لا نقول كلهم، لكن بعضهم يكون عندهم ربما تسرعٌ في الفتيا، أو حرص على الظهور في بعض القنوات والمشاركة في بعض المنتديات للإفتاء.

☚ **وهذا يقال**: أنه ينبغي للإنسان إذا لم يُطلب منه أن يبتعد عن ذلك، لا سيما وأن فيه من هو غيره من أهل العلم قد كفاه ذلك، اللجنة الدائمة، ومشايخ هيئة كبار العلماء وغيرهم قد نُصِّبوا لذلك، وكفوك المؤونة فيما يتعلق بالفتيا، وإجابة السائلين سواءً في القنوات الفضائية أو غيرها.

⇦ ذكر المصنف أيضًا من الآثار ما يتعلق بأثر (**عَبْدُ اللهِ بن مَسْعُود قال: "وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَنَطِّعِينَ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"**).

وهذا ظاهر:

✍ فقد قال -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُون**».

✍ وقال: «**إِيَّاكُم وَالْغُلُو، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم الْغُلُو فِي الدِّين**».

⇦ وذكر أيضًا قول مُحَمَّد بْنِ سِيرِينَ -رَحِمَهُ الله- (عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: "مَا دَامَ عَلَى الْأَثَرِ فَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ").

← مراده: أنَّ من لزم الأثر والسنة فإنه على الطريق الصحيح المستقيم. وهذا سيأتي تفصيله أكثر في أبواب تأتي فيها يتعلق بآداب طالب العلم.

⇦ ثم ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- من الآثار أيضًا ما يتعلق بـ(من يتبع المتشابه) الذين يتبعون المتشابه في قلوبهم مرض.

⇦ (ولهذا قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وقد تلا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[آل عمران:٧]، فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَاحْذَرُوهُمْ»).

★ يعني أنه ماذا؟

أن في قلوبهم مرض يتبعون المتشابه، ويدعون المحكم؛ لكي يشككوا في الدين، أو يشككوا الناس في تعلقهم وعبادتهم لرب العالمين، فهؤلاء نحذرهم.

✍ ولهذا ذكر الإمام ابن كثير -رَحِمَهُ الله- في تفسيره ما يتعلق بالآيات الواضحات البينات المحكمات، وكذلك المتشابه، ما المراد بالمتشابه؟ وأقسامه، وهو ما يتعارض فيه الاحتمال، ومنه أيضًا: ما لا يعلمه إلا العلماء الراسخين في العلم.

⇦ ثم ذكر أيضًا من الآثار قول (مَسْرُوقٍ: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- فَقَالَ فَتًى: مَا تَقُولُ يَا عَمَّاهُ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أَكَانَ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَعْفِنَا حَتَّى يَكُونَ").

★ الشاهد أنه ماذا؟

أنه طلب عدم السؤال عما لم يقع.

✪ **وهذا فائدة**: أنه ينبغي للإنسان ألا يسأل عن شيءٍ إلا إذا وقع، أما إذا لم يقع وكان فيه شيء فربما يُبتلى به فيقع، كما لو كان فيه أمر خطير يتعلق به، أو بأهله، أو بماله، فإنه كما قيل: البلاء موكلٌ بالمنطق.

✍ ولهذا أحد الصحابة -رَضِيَ الله عَنْهُم- سأل النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: "يا رسول الله، أرأيت لو رأيت على امرأتي رجلًا" يعني ماذا أفعل؟ ثم إنه هذا الذي قاله ابتُلِي به، فقال: جاءه بعد ذلك وقال: يا رسول الله، إن الذي سألتك عنه أُبْتُلِيتُ به" وحينئذٍ يقال: لا تسأل عن شيءٍ لم يقع، اللهم إلا أن يكون عن طريق العلم والتعلم، فهذا لا بأس به.

⇦ بقي الأثر الأخير وهو قول (**عَبْدُ اللَّهِ**) يعني عبد الله بن مسعود (**"تَعَلَّمُوا، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُخْتَلَفُ إِلَيْهِ"**).

★ أيش المعنى؟

المعنى يعني احرصوا على العلم، وأكثروا منه من ضبط المتون، وضبط القواعد والضوابط؛ لأنه في المستقبل سيُحتاج إليك؛ يعني سيسألك الناس، وتحتاج إلى أن تفتيهم وتعلمهم وترشدهم.

(المتن)

➥ وقال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ الْفُتْيَا وَمَا فِيهِ مِنَ الشِّدَّةِ)

⮜ قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي بَكْرُ بْنُ عَمْرٍو الْمَعَافِرِيُّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ مُسْلِمِ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قال: «مَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا مَنْ غَيْرِ ثَبْتٍ، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مِنْ أَفْتَاهُ».

⮜ وقال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُسْهِرٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ شُرَيْحٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَيْهِ: "إِنْ جَاءَكَ شَيْءٌ فِي كِتَابِ اللهِ، فَاقْضِ بِهِ وَلَا تَلْفِتْكَ عَنْهُ الرِّجَالُ، فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَانْظُرْ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَاقْضِ بِهَا، فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَانْظُرْ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَخُذْ بِهِ، فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ أَحَدٌ قَبْلَكَ، فَاخْتَرْ أَيَّ الْأَمْرَيْنِ شِئْتَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَجْتَهِدَ بِرَأْيِكَ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَتَقَدَّمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَتَأَخَّرَ، فَتَأَخَّرْ، وَلَا أَرَى التَّأَخُّرَ إِلَّا خَيْرًا لَكَ".

⮜ وقال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "إِنَّ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يُسْتَفْتَى لَمَجْنُونٌ".

⮜ وقال: أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: "مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عِلْمًا، فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ، فَلْيَقُلْ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ. فَإِنَّ: الْعَالِمَ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ، قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص: ٨٦].

⮜ وقال: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ مُغِيرَةَ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: "لَا أَدْرِي نِصْفُ الْعِلْمِ".

➥ وقال: حدثنا هَارُونُ، عَنْ حَفْصٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: "مَا سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ قَطُّ: حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ، إِنَّمَا كَانَ يَقُولُ: كَانُوا يكْرهونَ، وَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ".

(الشرح)

هذا الباب، ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- فيه ما يتعلق بـ(الْفُتْيَا وَمَا فِيهِ مِنَ الشِّدَّةِ)، وفيه كذلك من التحذير من التسرع إليه، والحرص عليه، وما أشبه ذاك، وذكر كذلك بعض الآثار والأحاديث منها:

⇦ وإن كان في سنده لا بأس به؛ يعني («مَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا مَنْ غَيْرِ ثَبْتٍ، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مِنْ أَفْتَاهُ») وهذا في سند ضعف، لكن له شواهد، وعله بعض أهل العلم كالدار قطني.

☚ لكن المراد: («مَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا مَنْ غَيْرِ ثَبْتٍ») يعني أنه لم يكن عنده علمٌ بها، فأفتى هذا الذي سأله فإن هذا السائل إثمه فيما وقع فيه من حلالٍ أو حرام على من أفتاه.

⇦ وذكر أيضًا من الآثار: أثر (عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رَضِيَ الله عَنْهُ-).

✪ الشاهد منه: قوله: ("فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ أَحَدٌ قَبْلَكَ، فَاخْتَرْ أَيَّ الْأَمْرَيْنِ شِئْتَ، وَلَا أَرَى التَّأَخُّرَ إِلَّا خَيْرًا لَكَ") يعني أسلم لدينك، وأصون لعرضك وعلمك.

⇦ ثم ذكر أيضًا من الآثار أثر (ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: "إِنَّ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يُسْتَفْتَى لَمَجْنُونٌ").

وهذا فيما يظهر والله أعلم مراد عبد الله بن مسعود في كل ما يُستفتى به سواءً علمه أو لم يعلمه. هذا هو ظاهر العبارة، وكذلك يدل كلامه -رَضِيَ الله عَنْهُ- يدل على أن الذي يستفتى بهذه الطريقة على حرصه وتسرعه للفتيا والفتوى سواءً كان بعلم أو بغير علم.

⇦ وذكر -رَحِمَهُ الله- أيضًا (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) يعني عبد الله بن مسعود -رَضِيَ الله عَنْهُ- ("مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عِلْمًا، فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ، فَلْيَقُلْ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ") فإن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- وكل علم ما لم يعلمه إلى الله (﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص:٨٦]).

⇦ ثم ذكر أيضًا قول (الشَّعْبِيِّ: "لَا أَدْرِي نِصْفُ الْعِلْمِ") وهذا جرى عليه جماعةٌ من الأئمة نصوا على ذلك، وأن (لَا أَدْرِي نِصْفُ الْعِلْمِ)، وأن الإنسان يسلم بهذه الكلمة من أن يلحقه إثمٌ، أو تلحقه مؤاخذة بفتياه بغير علم؛ فإذا قال: لا أدري فقد سَلِم، ثم لا يعد هذا نقصًا في حقه.

★ **بل هذا يعد ماذا؟ هل هو نقص، أو هو عدم علم، أو هو عدم تعلم؟**

كلا، بل قالها الأئمة المتقدمين، فهو يحمي دينه من النقص، ويحمي علمه كذلك، ويحمي نفسه من الإثم في أن يُفتي بغير علم، ويحمل نفسه أيضًا على الاقتداء بالأئمة المتقدمين في قولهم، وقد سئلوا عما لا يعلموا: لا أدري، أو الله أعلم.

⇦ وكذلك قوله: (**ما سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ**) يعني النخعي (**يَقُولُ قَطُّ: حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ، إِنَّمَا كَانَ يَقُولُ: "كَانُوا يكْرهونَ، وَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ"**).

☚ وهذا فيه دليل على أنه -رَضِيَ الله عَنْهُ ورحمه- كان يتحرز من العبارات.

☚ وهذا جرى عليه أيضًا أئمة آخرون، فالإمام أحمد -رَحِمَهُ الله- كان من أبرز الأئمة في ذكر التحرز في العبارات، كان يقول: {أكرهه، لا أراه، لا يعجبني، لا أحب} ولا يجزم العبارات؛ الجزم بالعبارات فيها شيء، لكن من باب التورع والأدب يذكر هذه العبارات المجملة، ومنها قول إبراهيم النخعي -رَحِمَهُ الله ورضي عنه-.

وبهذا ينتهي التقرير في درس هذا اليوم، ونكمل إن شاء الله تعالى ما تبقى غدًا وبعد غدٍ إن شاء الله تعالى وبه الثقة، والله الموفق، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاع الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنَهُ الشَّيْطَان فِي قُلُوب بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَةَ لـهُم وَيُحَسِّنُهَا فِي أَعْيُنَهم، وَرُبَّمَا قَلَّلَ أَوْ عَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمَعْصِيَة؛ قَلَّلَ مِنَ شَأْنِ الْبِدْعَة، وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمَعْصِيَة؛ حَتَّى يُقْبِلُوا عَلَى الْبِدْعَةِ، وَيَبْتَعِدُوا عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المجلس الثالث

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاع الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنَهُ الشَّيْطَان فِي قُلُوب بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَةَ لـهُم.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:-

فنكمل أيها الإخوة ما ابتدأناه بالأمس من تعليقات يسيرة ومختصرة على مقدمة الإمام الدارمي -رَحِمَه الله- لسننه، وقد تقدم ما يتعلق بدلائل النبوة، وابتدأنا كذلك ما يتعلق باتباع السنة، والتحذير من البدع، والتحذير من الفُتيا، والأخذ عن أهل العلم الموثوقين،

وقد سرد المصنف -رَحِمَه الله- ما يدل على ذلك من الأحاديث والآثار التي اخترناها وعلقنا عليها، ونكمل هذا اليوم إن شاء الله تعالى المختارات المتعلقة بها بقي، وما سيبقى إن شاء الله تعالى من التعليق على هذه المقدمة.

وكما قلت بالأمس: الأحاديث والآثار التي نقرأها ليست كل ما في المقدمة، إنما هي مختارات، وإلا فلو أردنا أن نعلق على جميع الأحاديث والآثار ما استطعنا إكمالها في هذه المدة المقررة للدورة، لكن المراد مختارات، وهذه المختارات بينتها بالأمس، وأنها أصح ما ورد في هذه المقدمة من الأحاديث والآثار من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى غير مكررة، وربما تكون جامعة بعباراتٍ تشمل وتكفي عن عبارات الأئمة الآخرين مع كذلك الأحاديث النبوية.

(المتن)

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:-

يقول المصنف -رَحِمَه الله تَعَالَى-:

(بَابُ تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ)

➥ قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: **أَخْبَرَنَا يَعْلَى قال: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَتْ قَالُوا: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ". قَالُوا: وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: "إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ".**

➥ وقال: أخبرنا صَالِحُ بْنُ سُهَيْلٍ، مَوْلَى يَحْيَى بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، ثَنَا يَحْيَى، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود -رَضِيَ الله عَنْهُ-، قَالَ: **"لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ عَامٌ إِلَّا وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ. أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَعْنِي عَامًا أَخْصَبَ مِنْ عَامٍ، وَلَا أَمِيرًا خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ، وَلَكِنْ عُلَمَاؤُكُمْ وَخِيَارُكُمْ وَفُقَهَاؤُكُمْ يَذْهَبُونَ، ثُمَّ لَا تَجِدُونَ مِنْهُمْ خَلَفًا، وَيَجِيءُ قَوْمٌ يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ".**

(الشرح)

نعم، أشار المصنف -رَحِمَه الله- في هذين الأثرين إلى ما يكون في آخر الزمان من تغيره، ومن التباس الحق بالباطل، ومن كثرة الفتن.

⇦ وذلك في قول عبد الله بن مسعود -رَضِيَ الله عَنْهُ-: (**"كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً"**).

والفتنة في اللغة: هي الابتلاء والامتحان.

☜ **وهي كثيرةٌ متنوعة:**

- فمنها فتنة المال.
- ومنها فتنة النساء.
- ومنها فتنة الدنيا.
- وأعظم فتنة تلحق العبد هي فتنة الدين، أن يضل عن الصراط المستقيم.

✍ والفتن كما لا يخفاك نحن نعوذ بالله من الفتن، وقد بيَّن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- في أحاديث كثيرة عنه أنه ينبغي أن نتعوذ بالله منها «تَعَوَّذُا بِالله مِنَ الفِتَن مَا ظَهَر مِنْهَا وَمَا بَطَن» تموج -والعياذ بالله- لا يدري الإنسان هل هو على حق، أو على باطل.

⇦ وتأمل هذا الحديث ما ثبت في الصحيحين من طريق عبد الرحمن، أو محمد بن أبي عائشة عن أبي هريرة أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُم فَلْيَسْتَعِذ بِالله مِنْ أَرْبَع: يَسْتَعِذ بِالله مِنْ عَذَابِ جَهَنَّم، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْر، وَمِنْ فِتْنَة الْمَحْيَا وَالمَمَات، وَمِنْ فِتْنَة الْمَسِيح الدَّجَّال». هذه أعظم فتن تمر على العباد في آخر الزمان.

«إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُم فَلْيَسْتَعِذ بِالله مِنْ هذه الأَرْبَع»:

◆ «مِنْ فِتْنَة الْقَبْر»: والقبر هو أول منازل الآخر، وهو إما حفرةٌ من حفر من النيران، وإما روضةٌ من رياض الجنان، فمن كان مؤمنًا تقيًّا كان قبره روضةٌ من رياض الجنان - نسأل الله أن يجعلنا منهم-، ومَن كان كافرًا أو منافقًا فقبره حفرةٌ من حفر النيران.

والإنسان إذا مات قامت قيامته، ثم ينتقل إلى مرحلة البرزخ، وهو في البرزخ إما في نعيم أو في عذاب.

◆ **ثم بعد ذلك الثاني** «وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّم»: وجهنم هي الدار التي أعدها الله للكافرين، وفيها أعدَّ الله لأهلها فيها ما تقشعر منها جلود المؤمنين، وقد أمر المولى سبحانه عباده أن يستعيذوا بالله، يتقوه كما أمرهم أن يتقوه.

✍ فقال: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[البقرة:١٩٧].

✍ وقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾[آل عمران:١٣١].

والوقاية من النار إنما هو بفعل الأسباب، أو بالبعد عن الأسباب الجالبة لعذاب النار ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[التحريم:٦].

❁ **ومن أعظم أسباب دخول النار -والعياذ بالله- الإشراك بالله الموبقات السبع التي نص عليها النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-:**

- الإشراك بالله.
- وعقوق الوالدين.
- وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.
- والفرار من الزحف.
- والسحر.
- وأكل مال اليتيم.
- إلى آخر ما ذكره -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-.

ثالثًا: «وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَات»:

«فِتْنَةِ الْمَحْيَا»:

- إما شبهات تصد المرء عن مولاه.
- وإما شهواتٌ تغريه في دنياه.

إما شهوات أو شبهات، وأعظمها وأخطرها هي الشبهات؛ لأن الإنسان يضل بها على الصراط المستقيم، وهو يظن أنه على الصراط المستقيم؛ ولهذا تأمل يقول أهل العلم -

رَحِمَهم الله-: {لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار التي تموج فيها الفتن والشهوات والموبقات، إلا بشروط:

- أن يكون عند الإنسان دينٌ يحميه من الشهوات.
- وأن يكون عنده علمٌ يحميه من الشبهات.
- وأن يكون محتاجًا.

إذن هذه فتنة المحيا: إما شهوات، أو شبهات.

وأما «فِتْنَةِ الْمَمَاتِ»: فهي أيضًا دائرةٌ بين أمرين:

- إما ساعة الاحتضار وهي من أعظم وأخطر ساعة على الإنسان في حياته؛ وذلك أن الإنسان يعرض له الشيطان، ويحاول الشيطان جاهدًا أن يُخرِجَه من الإسلام في تلك اللحظات؛ ولهذا دائمًا اسأل ربك أن يرزقك حسن الختام، وقل: «**يَا مُقَلِّب الْقُلُوب ثبِّت قَلْبِي عَلَى دِينَك**».

إذن هذا ما يتعلق بفتنة الممات:

- إما ساعة الاحتضار.
- وإما سؤال العبد من قبل الملكين وهو في قبره عمن؟ عن ربه، نبيه، ودينه ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾[إبراهيم:٢٧].

فمن كان مؤمنًا تقيًّا أجاب بالصواب وقال: ربي الله، ونبيي محمد جاءنا بالبينات، وديني الإسلام.

☚ ومن كان كافرًا أو منافقًا –والعياذ بالله– يقول: ها، ها، ها، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

تأمل قوله (ها)؛ يعني كأنه يريد أن يستحضر وهو يعرف في حياته لكنه لا يستطيع؛ يعني وإن كان الجواب سهلًا عليه، لكنه عسير في تلك اللحظات، وإنما يُثبِّت من ثبَّته المولى سبحانه وبحمده للنطق بالجواب.

⬅ «وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» وأما فتنة المسيح الدجال: فهي أعظم فتنة تمر على وجه الأرض: قال النبي –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرَ مِنَ الدَّجَّالِ» وذلك أنه يأتي إلى الناس ويدعوهم إلى نفسه، ويقول: أنا ربكم، ثم يأمر السماء أن تُمطِر فتُمْطِر، والأرض أن تُنبت فتنبت بلحظة سبحان اللهَ! فتنة عظيمة جدًّا؛ يعني كيف بلحظة يأمر السماء، لكن الله –سبحانه وبحمده– مكَّنه من ذلك ابتلاء وامتحان للعباد، ويأمر الناس أن يتَّبعوه، ومعه جنةٌ ونار، فمن أطاعه أدخله في جنته، ومن عصاه أدخله في ناره.

✍ قال النبي –عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام–: «فَنَارُه الْتِي تَرَوْنَ جَنَّة، وَجَنَّتُهُ التَي تَرَوْنَ نَار».

★ **ولكن أسألك هل هذا حقيقة أو خيال؟**

بل هو حقيقة، أرأيتم النار التي ألقي فيها إبراهيم هي نارٌ يراها الناس، لكن الله سبحانه سلب منها ماذا؟ سلب منها خاصيتها، فقيل لها: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[الأنبياء:٦٩] فخرج منها سالمًا معافى.

إذن كذلك المؤمن المتقي لله إذا عصى الدجال ولم يتبعه تكون ناره النار عليه بردًا وسلامًا، بل لا تحرقه وهو فيها، بل بردٌ وسلام، إذن نقول هذا حقيقة، لكن مع ذلك

الدجال أمره خطير، وفتنته عظيمة جدًّا، وهو يطوف البلاد كلها جنوبًا وشمالًا، وشرقًا وغربًا، لكنه لا يدخل مدينتين وهما: مكة والمدينة، فهما محرمتان عليه، لكنه يقف عند السبخات القريبة إلى المدينة، ثم يخرج إليه كل من كان في قلبه نفاقٌ أو كفر فيتَّبعه ولو كان في المدينة.

ثم إن الدجال يمكث في الأرض أربعون يومًا، يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كأسبوع، وسائر أيامه كأيامنا، قال الصحابة -رَضِيَ الله عَنْهُم- للنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- ما قالوا: يا رسول الله، ما معقول، كيف هذا؟! هل يحدث هذا؟ ما قالوا هذا؛ لأنهم يعلمون أن الله على كل شيءٍ قدير، وإن الله إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، لكن سألوا عن ماذا؟ عن أمرٍ يتعلق بعبادتهم، يتعلق بصلتهم، أمرٌ يهمهم، لا أمر يتعلق بالكون الذي يدبره رب الكون،

★ **"قالوا: يا رسول الله، أرأيت ذلك اليوم الذي هو كسنة، هل تكفينا فيه صلاة يومٍ واحد؟" ماذا قال؟**

قال: «لَا، بَلْ اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَه» سبحان الله!

وهذه الجملة يستفيدها الآن، الآن يستفيد منها الذين يسكنون في القطبين الجنوبي والشمالي ممن ليس عندهم ليلٌ ولا نهار، أو يكون عندهم ليل ستة أشهر، ونهار ستة أشهر، هؤلاء ماذا يفعلون؟

نقول: اقدروا للصلوات قدرها؛ بأن تنظروا إلى أقرب البلدان إليكم فيها ليلٌ ونهار، فتكونوا مثلهم. هذه الجملة من النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- أفادت أناسًا موجودون الآن في عبادتهم وطاعتهم، سواءً كانت في الصلاة، أو الصيام، أو غيرها.

★ وما الذي يقي من الدجال؟

✍ التعوذ بالله منه، وحفظ العشر الآيات الأُوَل من سورة الكهف.

✍ فقد قال -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-: «**مَنْ قَرَأ عَشْر آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْكَهْف عُصِمَ مِنَ الدَّجَّال**» أو كما قال -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-، وقد ورد في رواية «**مِنْ آخِر سُورَة الْكَهْف**» لكن الرواية شاذة، والصحيح «**مِنْ أَوَّلِ سُورَة الْكَهْف**».

✍ وكذلك البعد عنه عند السماع به، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَى عَنْهُ**»؛ يعني يُبعِد؛ لكيلا يرى شيئًا لا يتمكن من الثبات عليه إن لم يثبته الله عليه. أسأل الله أن يثبتني وإياكم على طاعته.

نعم، هذه هي الفتن.

إذن لاحظ! الفتن عظيمة؛

⇦ ولهذا قال -رَضِيَ الله عَنْهُ-: (**"غُيِّرَتِ السُّنَّةُ. قَالُوا: وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَال: إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ"**).

لأن الأمانة تبقى في قلوب الرجال في آخر الزمان، ثم لا يجد الإنسان رجلًا يأتمنه من كثرة ما يقع من الخيانة عند بعض الناس (**"وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ"**).

لكن اعلم أن من الفتن لكن هي وإن كانت يسيرة لكنها مع الاستمرار واستسهالها كبيرة تكفِّرها الصلاة والصوم والصدقة.

✍ فقد قال -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- فيما ثبت عنه في صحيح مسلم: «**فِتْنَة الرَّجُل فِي أَهْلِهِ وَمَالِه وَوَلَدِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ والصَّوْم وَالصَّدَقَة**».

⇦ وأما الأثر الآخر عن ابن مسعود في سنده ضعف، في إسناده **(مُجَالِدٍ بن سعيد)** وهو ضعيف، لكن ثبت معناه عن أنس -رَضِيَ الله عَنْهُ- في صحيح البخاري، وأن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «لَا يَأْتِ عَامٌ إِلَّا وَالذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْه حَتَّى تَلْقُوا رَبَّكُم» **والمراد بذلك**: الخلافة، فإنه في كل عام ربما تأتي خلافة شرٌّ مِنَ الذِي قبلها.

(المتن)

⇦ قال المصنف -رَحِمَه الله تَعالَى-:

(بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ أَخْذِ الرَّأْيِ)

⇦ قال: أَخْبَرَنَا عَفَّانُ قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قال: حَدَّثَنَا عَاصِمُ ابْنُ بَهْدَلَةَ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: "خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ تَلَا ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام: ١٥٣].

⇦ وقال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، قال: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾[الأنعام: ١٥٣] قَالَ: "الْبِدَعَ وَالشُّبُهَاتِ".

⇦ وقال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلَفٍ، قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ، قال: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: "خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»".

← وقال -رَحِمَهُ الله-: أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ -رَضِيَ الله عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ».

← وقال -رَحِمَهُ الله-: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُيَيْنَةَ، أخبرنا عَلِيٌّ هُوَ ابْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ، قَالَ: "قَالَ لِي عُمَرُ -رَضِيَ الله عَنْهُ-: "هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ، وَحُكْمُ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ".

← وقال: أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ خَالِدٍ، قال: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ، وَمَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُود -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: "الْقَصْدُ فِي السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الِاجْتِهَادِ فِي الْبِدْعَةِ".

(الشرح)

هذا الباب أشار فيه المصنف -رَحِمَهُ الله- إلى كراهية أخذ البدع.

- **والمراد بالكراهية** كراهية التنزيه المؤكد، وربما تصل إلى كراهية التحريم، كالبدع؛ ولهذا البدع على القول الراجح في تعريفها السابق: كل ما أُحدِثَ في الشرع مما لم يكن عليه أمر النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- في عقيدةٍ، أو قولٍ، أو عمل.

- **والصحيح**: أن البدع كلها ضلالة، وليس فيها كما هو عند بعض أهل العلم قسَّم العلم إلى بدعٍ حسنة، وبدعٍ سيئة مستدلين بقول عمر بن الخطاب -رَضِيَ الله عَنْهُ- وقد رأى بعض الصحابة يصلون قيام الليل في رمضان إحياءً لتلك السنة: **"نِعْمَة الْبِدْعَةُ هَذِه"**. وقالوا لما قال عمر: **"نِعْمَة الْبِدْعَة"**. إذن فيه بدعةٌ حسنة وبدعة سيئة، فيقال:

ليس المراد مراد عُمر -رَضِيَ الله عَنْهُ-بالبدعة هنا البدعة المحدثة في الدين، بل مراده البدعة الإضافية.

★ **لأن أصل قيام الليل كان مشروعًا وين؟**

في عهد النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-، فقد قام -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- ليالي معدودة في رمضان ثم تركه، خشية أن تُفرَض على الأمة؛ أعني يُفرَض عليها قيام رمضان، لكن لما توفي النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-، ثم أبو بكر، ثم جاء عهد أبو بكر، ثم عُمَر أحيا هذه السنة، فإحياؤها هنا ليس بدعة، لكن إحياؤها بسنةٍ قد أحياها النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-، فأصل مشروعيتها كان في عهده، وفي زمنه، بل وأقامها هو -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-.

✍ **إذن نقول**: لا يصح الاستدلال بقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رَضِيَ الله عَنْهُ-: "نِعْمَة الْبِدْعَة هَذِه" بتقسيم البدع إلى بدعٍ سيئة، وبدعٍ حسنة لما عرفت.

ذكر المصنف هنا -رَحِمَهُ الله- بعض الآثار:

⇦ ومنها حديث (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ) وهذا الحديث في سنده ضعف، لكن له شواهد تقويه، وبها يرتقي للحسن (**أن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- خَطَّ خطًّا مستقيمًا، وخط خطوطًا عن اليمين وعن الشمال، وقال: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، وقال: هذه الخطوط التي عن اليمين وعن الشمال «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»**) وهذه هي سبل الضلالة والهوى، وهي المؤدية مع تفرقها إلى النار.

✍ ولهذا قال الله -جَلَّ جلاله-: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾[الأنعام:١٥٣]، لاحظ كيف أفرد الله الصراط وجمع السبل؛ لأنها متعددة، وكلها

تؤدي إلى النار، لكن صراط الله، وهو ما كان عليه النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- من عقيدةٍ، أو قولٍ، أو عمل هو الذي يؤدي إلى الجنة.

⇦ وذكر بعد ذلك أثر: (مُجَاهِدٍ، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾[الأنعام:١٥٣] قَالَ: "الْبِدَعَ وَالشُّبُهَاتِ") والبدع تقدم تعريفها.

☚ **والشبهات كذلك**: هي كل ما يصد المرء عن مولاه.

☚ **وعلاج الشبهات**: علاجها بالاستعاذة بالله من الشيطان، والانتهاء.

✍ **ثبت في الصحيح**: أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُم فَيَقُول: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُول: مَنْ خَلَقَ الله؟ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِك، فَلِيَسْتَعِذ بِالله وَلِيَنْتَه» قل مباشرة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وانتهي؛ وانتهي يعني انصرف، انشغل في أمورك الأخرى.

✍ «وَقُل» كذلك في رواية «آمَنْتُ بِالله وَرُسِلِه» فإنه حينئذٍ لا يضرك هذا الذي وقع في صدرك.

✍ ولهذا كان الصحابة -رَضِيَ الله عَنْهُم- يجدون في صدروهم مثل ذلك، فذهبوا إلى النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-، وقالوا: يا رسول الله، إننا نجد في صدورنا ما لم تكلمنا به كفرنا، فقال -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-: «الْحَمْدُ لله الْذِي رَدَّ كَيْدَه إِلَى الْوَسْوَسَة»، وقال في رواية: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَان».

إذن فقط لا تستمرئ، ولا تستمر، تلقائيًّا تعوذ بالله من الشيطان، وانتهي، وقل: آمنت بالله ورسله، وحينئذٍ لا يجد الشيطان عليك مسلكًا وسبيلًا، لكن إذا استمرأت وبدأت

تفكر، وأخذت تحلل جاءك الشيطان من كل جانب، وبدأت –والعياذ بالله– في دوامات، لكن إذا أغلقت الباب على الشيطان سَلِمت، وتم إيمانك ويقينك.

⇦ هذا الذي ذكره مجاهد هو أحد ما فُسِّرت به الآية الكريمة (﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾[الأنعام:١٥٣] فقَالَ مُجَاهِد: "الْبِدَعَ وَالشُّبُهَاتِ").

✍ وقيل: (﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾[الأنعام:١٥٣]) يعني خطوات الشيطان؛ لأن الله –تَبَارَك وَتَعَالَى– قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[النور:٢١].

✍ وعلى كل حال يقال: إن الآية تشمل هذا وهذا؛ لأنه من قواعد التفسير: [**إذا وردت الآية ولها معنيان لا يتنافيان، فإنها تُحمَل عليهما**].

⇦ ثم ذكر المصنف –رَحِمَهُ الله–: حديث (**جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ**) وهو ثابت في الصحيح صحيح مسلم ("**خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:** «إِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–») يعني طريقته، وسنته («وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»).

☜ **وهذه قاعدة**: أن كل بدعةٍ ضلالة، وأنها ليس فيها حسن، وليس فيها سيئ، بل كلها سيئة، وتقدم أن من البدع من ابتدع بدعةً عن بعض السلف، فإنه يُحرَم في مقابلها سنة، أو تُنتَزع منه في مقابلها سنة.

⇦ ثم ذكر حديث (**ثَوْبَانَ**) مرفوعًا («إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»).

«الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ» الذين يدلونهم عن الأهواء، ويضلونهم الهدى؛ يعني يدلونهم على الأهواء والهوى، ويحرمونهم الهدى، هؤلاء هم الأئمة المضلون.

⇦ ذكر بعد ذلك المصنف -رَحِمَهُ الله- أثر (**عُمَرُ بن الخَطَّاب**).

✪ **والشاهد منه**: قوله: (**"وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ، وَحُكْمُ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ"**).

☚ (**"جِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ"**) يعني على حججه الباطلة، وعلى نفاقه أيضًا الباطل، وعلى أهوائه.

⇦ ثم ذكر قول (**عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُود -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: "الْقَصْدُ فِي السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الِاجْتِهَادِ فِي الْبِدْعَةِ"**) وهو كذلك، فإن اقتصادًا في سنة خيرٌ من اجتهادٍ في بدعة.

أرأيت الاجتهاد في البدعة لا تثاب عليها، بل تُحَرَم في مقابلها سنة، لكن الاقتصاد في السنة تكون على الصراط المستقيم، وتلاقي ربك على ما كان عليه النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- وصحابته الكرام.

★ **إذن لاحظ! القصد في السنة خيرٌ من الاجتهاد في البدعة، لكن أنت تحتاج إلى ماذا؟**

تحتاج إلى أن تسأل الله سبحانه أن يتوفاك على السنة، وأن يهديك إليها، وأن يثبتك عليها، فهي وإن كانت خير وقليلة، خيرٌ وإن كانت قليلة والإنسان يقتصد فيها، لكنها أفضل بكثير من البدعة ولو كانت كثيرة.

وأنت ترى: أن بعض الفرق المبتدعة عندهم عبادات متنوعة وكثيرة، عندهم مثلًا في هذه الليلة ليلة الجمعة عبادات وصلوات يجتمعون في المسجد، ويصلون على النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أكثر ما أدري والله أكثر من خمسين ألف صلاة، ها هم إلى منتصف الليل من بعد العشاء إلى منتصف الليل صلوات صلوات ويهزون أنفسهم ويجتمعون، لاحظ! في تعبٍ عظيم، لكن على سنة ولَّا على بدعة؟ على بدعة.

إذن نقول لهم: أخطأتم الطريق، الزموا السنة فهي خيرٌ لكم واجتهادكم في البدعة هو مما يُضعِف هممكم على فعل السنة، ومما يعين الشيطان عليكم؛ لأن الشيطان يحرص يزين هذه البدعة في أعينهم وهم لا يشعرون.

والله الموفق، وبهذا تكون انتهينا من التعليق على المختارات في هذا اليوم، ونكمل بإذن الله تعالى في مثل هذا الوقت يوم غدٍ إن شاء الله ما تبقى من المقدمة، والله الموفق.

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاع الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنَهُ الشَّيْطَان فِي قُلُوب بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَةَ لَهُم وَيُحَسِّنُهَا فِي أَعْيُنَهم، وَرُبَّمَا قَلَّلَ أَوْ عَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمَعْصِيَة؛ قَلَّلَ مِنَ شَأْنِ الْبِدْعَة، وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمَعْصِيَة؛ حَتَّى يُقْبِلُوا عَلَى الْبِدْعَةِ، وَيَبْتَعِدُوا عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المجلس الرابع

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاع الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنَهُ الشَّيْطَان فِي قُلُوب بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَةَ لَهُم.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:-

فنكمل أيها الإخوة ما ابتدأناه بالأمس من تعليقات يسيرة ومختصرة على مقدمة الإمام الدارمي -رَحِمَه الله- لسننه.

(المتن)

← قال المصنف -رَحِمَه الله تَعَالَى-:-

(بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِالْعُلَمَاءِ)

← قال: أَخْبَرَنَا يَعْلَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩] قَالَ: "أُولُو الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، وَطَاعَةُ الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- اتِّبَاعُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ".

← وقال: أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَبِي خَلِيفَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ زِيَادَ بْنَ مِخْرَاقٍ ذَكَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ الله عَنْهُمَا-، قَالَ: "أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «تَسَانَدَا، وَتَطَاوَعَا، وبشِّرا وَلَا تُنَفِّرَا» فَقَدِمَا الْيَمَنَ، فَخَطَبَ النَّاسَ مُعَاذٌ فَحَضَّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّفَقُّهِ والقرْآنِ، وَقَالَ: إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، فَاسْأَلُونِي أُخْبِرْكُمْ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمَكَثُوا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثُوا، فَقَالُوا لِمُعَاذٍ: قَدْ كُنْتَ أَمَرْتَنَا إِذَا نَحْنُ تَفَقَّهْنَا، وَقَرَأْنَا أَنْ نَسْأَلَكَ فَتُخْبِرَنَا بِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذٌ: "إِذَا ذُكِرَ الرَّجُلُ بِخَيْرٍ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِذَا ذُكِرَ بِشَرٍّ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ".

← وقال: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: "قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ»، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ:

«فَيُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ»، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا».

⬅ وقال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ هُوَ ابْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

⬅ وقال: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْخَيْفِ مِنْ مِنًى، فَقَالَ: «نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا، سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثلاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلهِ، وَطَاعَةُ ذَوِي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِمْ».

(الشرح)

ذكر المصنف -رَحِمَه الله- في هذا الباب (**الِاقْتِدَاءِ بِالْعُلَمَاءِ**) يعني وما كانوا عليه من اتباع السنة، واقتفاء أثر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّم- وصحابته الكرام.

⇦ فذكر ما يتعلق بالآية الكريمة (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩]) وهذه قاعدة، قاعدة في طاعة ولاة الأمور.

⇦ قال -رَحِمَه الله- (أعني عطاء بن أبي رباح: ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ **أُولُو الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، وَطَاعَةُ الرَّسُولِ -صلى الله عليه وسلم-: اتِّبَاعُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**) وهذا الذي ذكره عطاءٌ -رَحِمَه الله- هو أحد القولين في تفسير الآية الكريمة.

- والقول الآخر في تفسير الآية الكريمة: أن ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ هم الأمراء والحكام.

- **والصحيح**: أن الآية تشمل المعنيين للقاعدة التي ذكرتها قبل قليل: أن الآية إذا ورد لها معنيان لا يتنافيان، فإنها تُحمَل عليهما، فالصحيح أن المراد بـ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ في الآية الكريمة العلماء والأمراء.

⇦ ثم ذكر -رَحِمَه الله- حديث (**عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أَرْسَلَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، وقَالَ لهما: «تَسَانَدَا، وَتَطَاوَعَا»**) ليكن كل واحد منكما سندًا للآخر، وأن يتطاوعا في أمرهما، ويتعاونا.

✪ **ولكن الشاهد منه**: (قول معاذ: **فَحَضَّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّفَقُّهِ والقرْآنِ**) (**بالتفقه**) يعني في الدين ولزوم السنة.

(**ثم قال مُعَاذٌ: "إِذَا ذُكِرَ الرَّجُلُ بِخَيْرٍ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِذَا ذُكِرَ بِشَرٍّ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ"**) وهذه علامة، وهي عاجل بشرى المؤمن أن يُذكَر عند الناس بخير، وأنت يثنوا عليه خيرًا، وأما الآخر وهو الذي يثني عليه الناس بشر ويذكروه بسوء، فهو من أهل النار، وهذه أيضًا -أعوذ بالله- بشرى سيئة، لكن ولهذا ثبت ما يدل على ذلك في الصحيح عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فقد مرَّ بجنازة فقال: «**وَجَبَت، وَجَبَت، وَجَبَت**» ثم قالوا: يا رسول الله، ما وجبت؟ قال: «**فُلَانٌ أَثْنَيْتُم عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبت لَهُ الْجَنَّة، وَفُلَانٌ أَثْنَيْتُم عَلَيْه شَرًّا فَوَجَبَت لَهُ النَّار، أَنْتُم شُهَدَاءُ الله فِي أَرْضِه**».

⇦ ثم ذكر -رَحِمَه الله- حديث (معاوية أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**») وهذه فائدةٌ عظيمة من فوائد الفقه في الدين، ولزوم السنة، واتباع ما عليه صحابة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- والأئمة أن الله أراد به خيرًا.

✍ وقد قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رَحِمَه الله-: {مفهوم الحديث أن من لم يُرِد الله به خيرًا -والعياذ بالله- لا يفقهه في الدين}.

⇦ وأما الحديث الآخر وهو حديث (أبي هريرة -رَضِيَ الله عَنْهُ-).

✪ **فالشاهد منه**: («فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا») يعني معناه أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس، وأن الإسلام لا يزيد الشريف شرفًا، ويزداد شرفه بالتفقه في دين الله.

ومعنى «مَعَادِنِ الْعَرَبِ»؛ أي أصولها.

☚ وفي هذا الحديث دليلٌ على فضل التفقه في دين الله، وهو شاملٌ لفهم الدين الحق فهمًا صحيحًا، والعمل به، وكذلك اتباع السنة.

⇦ ثم ذكر حديث («نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا، سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ») وهذه فائدة لتبليغ العلم، وأنه يكون من النضرة وجوههم.

وقد جمع أحد المشايخ الأفاضل المتأخرين طرق وألفاظ هذا الحديث في مجلدٍ مطبوع، ثم ذكر فائدة -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- في قوله: («ثلاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ، وَطَاعَةُ ذَوِي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِمْ»).

✪ **فالشاهد**: قوله: («طَاعَةُ ذَوِي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ») فإنها سببٌ لطهارة القلب، ولا يغل عليها قلب مؤمن.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَه الله تَعَالَى-:

(بَابُ اتِّقَاءِ الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالتَّثَبُّتِ فِيهِ)

➥ قال: **أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أخبرنا أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»**.

➥ وقال -رحمه الله تعالى-: **أَخْبَرَنَا هَارُونُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بِشْرٍ، عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»**.

(الشرح)

هذا الباب عقده المصنف -رَحِمَه الله- في بيان التحذير الشديد من الكذب على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، والتثبت في نقل الأخبار عنه.

والكذب على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- من كبائر الذنوب؛ لأنه تُوعِّد عليه بعقوبةٍ خاصة، وكل ذنبٍ تُوُعِّدَ عليه بعقوبةٍ خاصة فهو كبيرة

⇦ («مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ») والكذب على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- هو التقول عليه فيما لم يقله.

وهذا الحديث الذي ذكره المصنف روي من حديث **(جابر)** ومن حديث **(ابن عباس)**، وحديث **(الزبير بن العوام)**، وحديث **(يعلى بن مرة عن أبيه عن جده)**، وحديث **(أنس بن مالك بطرقٍ متعددة)**، وحديث **(ابن قتادة)** فهذا الحديث من الأحاديث المتواترة كما

عدها الأئمة -رَحِمَهم الله-، وقد قيل: مما تواتر حديث من كذب؛ يعني («مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»).

مِمَّا تَواتَر حَدِيث مَنْ كَذَب ... ومَنْ بَنَى لله بَيْتًا واحْتَسَب

وَرُؤْيَة شَفَاعَة وَالْحَوْض ... وَمَسْح خُفَّيْن وَهَذِي بَعْض

يعني أن الأحاديث الواردة فيمن كذب على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار. حديثٌ متواتر، وهو من الأحاديث المتواترة تواترًا معنويًّا.

لكن لاحظ! ولهذا سلك الأئمة من النقاد، أئمة الحديث سلكوا طرقًا في كشف الكذابين والوضاعين، وهتكوا أستارهم، وصنفوا المصنفات في بيان الأحاديث الموضوعة، والأحاديث الضعيفة، كل ذلك منهم ذبًّا عن سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّم- لهذا الحديث.

★ وكذلك بيَّنوا من؟

بيَّنوا أسماء الوضَّاعين، فقالوا: فلان بن فلان وضَّاع، فلانٌ ضعيف، فلانٌ كذَّاب، هيأ الله -سبحانه وبحمده- هؤلاء الأئمة الأعلام النقاد للذب عن سنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وهو أيضًا من حفظ الله سبحانه للسنة، قد تقدم أن الله -سبحانه وبحمده- قد تكفل بحفظ السنة، كما أنه تكفل بحفظ القرآن، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩].

قلت لكم بالأمس: إن الذكر يشمل القرآن والسنة، كما أن الله -تَبَارَك وَتَعَالَى- تكفل بحفظ القرآن، فهو كذلك قد تكفل بحفظ السنة.

طيب، هناك من الناس من المبتدعة من يقول: نحن نكذب للرسول، ولا نكذب عليه، نكذب له، ولا نكذب عليه. نكذب له، ولا نكذب عليه، كيف هذا؟! هل هذا يتصور؟!

كالراوي الذي وضع حديث في فضائل الأعمال، في فضائل سور القرآن سورةً سورة، ولما قيل له: لماذا فعلت هذا؟ قال: رأيت الناس تركوا القرآن، وأقبلوا إلى فقه أبي حنيفة وما أشبه ذلك، فوضعت هذا الحديث، أو هذه الأحاديث ترغيبًا لهم في قراءة القرآن، فأنا أكذب لرسول الله لا أكذب عليه، **فنقول ماذا؟** هذا خطأ؛ لأن الكذب على الشخص هو التقول عليه بما لم يقل، سواءً له أو عليه.

ولهذا ذكروا في هذا الحديث زيادة باطلة (من كذب عليَّ متعمدًا ليضل الناس، فليتبوأ مقعده من النار) هذه الزيادة هي من وضعهم، هم الآن كذبوا على رسول الله، وكذبوا عليه في الحديث الذي حذَّر فيه من الكذب عليه، فقالوا: (ليضل الناس) فدل على أن الكذب على النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- من كبائر الذنوب، وسواءٌ قصد ماذا؟ قصد خيرًا من وضع الحديث عليه، أو قصد غير ذلك، ثم يقال: سواءٌ كذب له، أو كذب عليه، فهو كله كذبٌ محرَّم، وهو كله افتراءٌ على النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وتقوُّلٌ عليه.

✍ أنت ترى الآن في عصرنا كثرت الآن وسائل نشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة عبر وسائل الاتصال الحديثة، فعندنا في الواتس آب، وعندنا في الإنترنت، وعندنا أيضًا كذلك في الإيميلات بدأ بعض الناس ينشر أحاديث ضعيفة أو موضوعة.

✍ وأقول لهؤلاء اتقوا الله في أنفسكم، لا يجوز لكم أن ترسلوا الأحاديث إلى الناس إلا بعد أن تتثبتوا وتتبينوا، وتتحققوا من ثبوتها، وصحة نسبتها إلى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

✍ وبعضهم الآن يأتي بأحاديث طويلة، ثم يقول في آخرها: انشر تؤجر. مثل هذا قد لا يقال: انشر تؤجر، نقول: لا تنشر، بل ربما تؤزر إذا نشرت، وأنت لا تعلم.

✍ والوسيلة الحديثة الآن هي الواتس آب فيما يظهر، هي أحدث وسيلة حالية في العصر الحاضر لسرعة التواصل بين الناس هي هذه؛ ولهذا احذر كل الحذر من أن ترسل أحاديث لا تعلم عن صحتها، إلا بعد أن تسأل أهل العلم، وتتثبت من صحتها إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

❁ **وهناك قاعدة**: [الغالب على الأحاديث الطويلة، والتي في ألفاظها ركاكة أنه ضعيفة لا تصح]. هذه قاعدة، فمتى ما مر عليك، أو أرسِل إليك حديثٌ فيه طول، وعبارته ركيكة فاعلم أنه موضوع.

✍ ولهذا قال شيخنا ابن عثيمين -رَحِمَهُ الله- عند حديث الحسن عن سمرة «مَنْ تَوَضَّأ يَوْم الجُمعَة فِبهَا ونِعْمَة، وَمَنْ اغْتَسَلَ فَالغُسل أفْضَل» قال شيخان -رَحِمَهُ الله-: {إن هذا الحديث لم يخرج من مشكاة النبوة} لأن الأحاديث النبوية لها نور وضوء، والأحاديث التي فيها ركاكة، وفيها اختلال في ألفاظها تعلم أنها موضوعة.

(المتن)

➥ قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابٌ فِي ذَهَابِ الْعِلْمِ)

➥ قال: أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، أخبرنا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا

يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ: قَبْضُ الْعِلْمِ قَبْضُ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

➥ وقال: حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا هِلَالٌ هُوَ: ابْنُ خَبَّابٍ، قَالَ: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا عَلَامَةُ هَلَاكِ النَّاسِ؟ قَالَ: "إِذَا هَلَكَ عُلَمَاؤُهُمْ".

➥ وقال: أَخْبَرَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، وَعُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، قَالَا: أَنبَأَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْأَحْنَفِ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ -رَضِيَ الله عَنْهُ-: "تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا".

(الشرح)

ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- في هذا الباب ما يتعلق بعلامة ذهاب العلم، وأن علامة ذهاب العلم هو بذهاب العلماء الربانيين، فإذا ذهب العلماء الربانيون اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤساء جُهَّالًا فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

⇦ («إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ صُدُورِ الرِّجَالِ»).

«يَنْتَزِعه» يعني يمحوهم من صدروهم، («ولكن بموت العلماء، فَإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا») وهذا يدل على أهمية وعناية الشرع بأهل العلم وتقديرهم واحترامهم، وأنه ينبغي أن يُعتنى بالعلم الذي يحملونه، يؤخذ عنهم العلم قبل أن يذهبوا هم.

⇦ ثم ذكر قول (سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ "مَا عَلَامَةُ هَلَاكِ النَّاسِ؟ قَالَ: "إِذَا ذَهَب عُلَمَاؤُهُمْ") وهو كذلك.

⇦ ثم ذكر قول (**عُمَرُ** -رَضِيَ الله عَنْهُ-: **"تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا"**) يعني قبل أن تُجعلوا سادة.

✍ قال البخاري -رَحِمَهُ الله-: {"وبعد أن تسودوا"} يعني وبعد أن تكونوا سادة، ينبغي لكم أن تتفقهوا، وأن تحرصوا على العلم.

☜ **واعلم أن التفقه في الدين ينقسم إلى قسمين، الفقه في الدين ينقسم إلى قسمين:**

- فقهٌ واجب.
- وفقهٌ مستحب.

☚ **فالفقه الواجب**: هو الذي لا تقوم عبادة العبد إلا به. وعليه ورد الحديث وفي سنده ضعف، وله طرقٌ متعددة «طَلَب الْعِلْم فَرِيضَة عَلَى كُل مُسْلِم» **فالمراد بالعلم** هنا العلم الذي تقوم به عبادة العبد، العلم الذي يعرف الإنسان كيف يعبد ربه، كيف يؤدي الصلاة، كيف يصوم، كيف يحج، كيف يزكي، هذا فرض واجب.

☚ **وأما القسم الثاني فهو الفقه المستحب**: وهو معرفة الخلاف وفروع العلم، وما يتعلق بكلام أهل العلم، تفاصيل العلم، فهذا إنما يكون لطلبة العلم، وهو من المستحب، وهو الذي يشمله حديث «مَنْ يُرِد الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين».

وهو الذي أراده عمر -رَضِيَ الله عَنْهُ-، ونص عليه البخاري (**"تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا"**) وقال البخاري: {"وبعد أن تسودوا"}.

لكن الفقه في الدين أيضًا يحتاج إلى:

- بذل الجهد، وبذل الوقت؛ لأن العلم إن أعطيته كلك أعطاك بعضه، وإن أعطيته بعضك لم يُعطِك شيئًا.

- وكذلك كثرة الدعاء والتضرع، ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[الأعراف:٥٥].

- وصدق النية، وحُسْن القصد.

فإذا اجتمعت هذه الأمور بعد توفيق الله لك أتاك الله من العلم ما أتاه من قبلك، وربما نقول: يؤتك من العلم ما لم يؤتِ غيرك، لا سيما بأن يفتح الله عليك أمورًا من العلم لم تكن تخطر لك على بال.

لاحظ! إصلاح النية، وحُسْن القصد، والتعلق بالله والتوجه إليه، وكثرة الدعاء، يا معلم إبراهيم علمني، يا مفهم سليمان فهمني. لا تعتمد وتتكل على نفسك، فإنك إذا اعتمدت على نفسك، اتكلت على نفسك ضِعْت ولم تستفد شيئًا، ولم تتفقه، ولم تتعلم.

لكن إذا اعتمدت على ربك، وسألته سبحانه أن يمنحك علمًا وفقهًا، وقلت: اللهم علمني ما ينفعني، وانفعني بما علمتني، وزدني علمًا، الحمد لله على كل حال، وأعوذ بالله من حال أهل النار، فقهك الله وعلمك.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ فِيهِ)

قال: أَخْبَرَنَا مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلشَّعْبِيِّ: أَفْتِنِي أَيُّهَا الْعَالِمُ، فَقَالَ: "الْعَالِمُ مَنْ يَخَافُ اللهَ".

وقال: أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: "مَنِ ابْتَغَى شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ سُبْحَانَهُ، آتَاهُ اللهُ مِنْهُ مَا يَكْفِيهِ".

(الشرح)

ذكر المصنف هنا: (الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ فِيهِ).

(الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ) هو ثمرة العلم.

⇐ «مَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ أَوْرَثَهُ الله عِلْمُ ما لَمْ يَعْلَم».

⇐ ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾[محمد:١٧].

(وَحُسْنِ النِّيَّةِ فِيهِ) يعني أن ينوي به الله سبحانه والدار الآخرة، لا ينوي بعمله مماراة للسفهاء، أو مجاراةً للفقهاء، أو ليصرف وجوه الناس إليه، إنما يريد وجه الله والدار الآخرة.

⇦ ولهذا كما قال الحسن إبراهيم النخعي: ("مَنِ ابْتَغَى شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله) يعني والوصول إلى دار كرامته (آتَاهُ اللهُ مِنْهُ مَا يَكْفِيهِ) يعني ويعينه على طاعة الله، ويبصِّره في أموره الدينية، ويوصله إلى الله سبحانه إلى دار كرامته.

❄ ولكن حسن النية فيه يتنوع إلى أنواع:

النوع الأول: أن ينوي رفع الجهل نفسه، فالإنسان الذي يطلب العلم يريد أن يرفع الجهل عن نفسه، وهو كذلك ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا

﴿يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[الزمر:٩]، والإنسان ما دام جاهلًا فهو في ظلمات، ولا يعي، ومثله مثل العامي وهو العامي سواء، لكنه إذا علم تنور، أنار الله بصيرته، وعرف كيف يسلك الصراط المستقيم.

الثاني: رفع الجهل عن الآخرين.

⇐ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[النحل:١٢٥].

⇐ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت:٣٣].

سبحان الله! ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾[فصلت:٣٣] يعني لا أحد ﴿أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾[فصلت:٣٣] فأنت تدعو الله سبحانه بعلمك الآخرين، فتحثهم عليه، وتوجههم إلى ما علمك الله به؛ لأن الإنسان الذي يدعو الآخرين يرزقه الله سبحانه علمًا لم يعلمه، وهو أبعد الناس عن الضلال والانحراف.

⇐ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة:١٠٥].

★ **تأمل قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة:١٠٥]، متى تهتدون؟**

إذا دعوتم إلى الله -عَزَّ وَجَل-، دللتموه، لكن لم يمتثلوا ما دعوتموهم إليه، خلاص، ما يضركم ذلك، فتكونون أنتم على خير، وهم يبقون في ضلالهم، ﴿لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾[المائدة:١٠٥]

إذن نقول: رفع الجهل عن نفسه، ورفع الجهل عن الآخرين.

- وينوي أيضًا حفظ الشريعة؛ لأن الإنسان بعلمه وتعلمه وحفظه يحفظ شرع الله من أن يُدرس، من أن يُنسَى، من أن يتلف، يبقى شرع الله محفوظًا، وأنت ترى أن بقاء هذه الأحاديث في الكتب هي محفوظة بحفظ الله لها، لكن لو فُرِض أنها احترقت يبقى هذا العلم في صدور الرجال محفوظة.

- ثم ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله-: قول الشعبي (قَالَ رَجُلٌ لِلشَّعْبِيِّ: أَفْتِنِي أَيُّهَا الْعَالِمُ، فَقَالَ: "الْعَالِمُ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ") وهذه هي ثمرة العلم.

- **ثمرة العلم** هي مخافة الله، وكيف تأتي مخافة الله إلا إذا عملت بعلمك؟

- قال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨].

- فـ«مَنْ كَانَ بِالله أعْرَف كَانَ مِنْهُ أَخْوَف».

والله الموفق، وبهذا نكون انتهينا من التعليق على المختارات في هذا اليوم، ونكمل بإذن الله تعالى في مثل هذا الوقت يوم غدٍ إن شاء الله ما تبقى من المقدمة، والله الموفق.

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاع الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنَهُ الشَّيْطَان فِي قُلُوب بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَةَ لَهُم وَيُحَسِّنُهَا فِي أَعْيُنَهم، وَرُبَّمَا قَلَّلَ أَوْ عَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمَعْصِيَة؛ قَلَّلَ مِنَ شَأْنِ الْبِدْعَة، وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمَعْصِيَة؛ حَتَّى يُقْبِلُوا عَلَى الْبِدْعَةِ، وَيَبْتَعِدُوا عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المجلس الخامس

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاع الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنَهُ الشَّيْطَان فِي قُلُوب بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَةَ لَهُم.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:-

أيها الإخوة، فإننا نُكمل التعليقات على مختارات من مقدمة الإمام الدارمي -رَحِمَه الله- لسننه.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَه الله تَعَالَى-:

(بَابٌ: مَنْ هَابَ الْفُتْيَا مَخَافَةَ السَّقَطِ)

قال: **أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ الله عَنْهُ- إِذَا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "هَذَا أَوْ نَحْوَهُ، أَوْ شِبْهَهُ، أَوْ شَكْلَهُ".**

وقال: **أَخْبَرَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: "كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ الله عَنْهُ- إِذَا حَدَّثَ حَدِيثًا، قَالَ: اللَّهُمَّ إِلَّا هَكَذَا، أَوْ كَشَكْلِهِ".**

(الشرح)

هذا الباب ذكر فيه المصنف -رَحِمَه الله- ما يتعلق بالآثار الواردة عن الأئمة من الصحابة والسلف والتابعين فمن بعدهم في تحريهم بنقل الأحاديث التي وردت عن النبي

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، يقولون: (أو كمثله، أو كشكله، أو كنحوه) وهذا يدل على تورعهم في نقل الألفاظ عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وسَلَّم- سواءٌ شكوا فيها، أو لم يشكوا فيها.

وهذا فيه دليل على أنه ينبغي للإنسان إذا كان يشك في اللفظ النبوي أن يقول: أو كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

وهذا الباب أطال فيه المصنف جدًّا في نقل عبارات الأئمة، وهو يعني حسب علمي من أوسع الكتب التي نقلت الآثار عن السلف في هذا الباب في تحرزهم للنقل اللفظ النبوي.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَه الله تَعَالَى-:

(بَابُ مَنْ قَالَ :الْعِلْمُ: الْخَشْيَةُ وَتَقْوَى اللَّهِ)

قال: أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، عَنْ مِسْعَرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْأَعْلَى التَّيْمِيَّ يَقُولُ: "مَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ، لَخَلِيقٌ أَلَّا يَكُونَ أُوتِيَ عِلْمًا يَنْفَعُهُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَعَتَ الْعُلَمَاءَ ثُمَّ قَرَأَ القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[الإسراء:١٠٧] إِلَى قَوْلِهِ ﴿يَبْكُونَ﴾[الإسراء:١٠٩].

وقال: أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ، حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَخِيهِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ عِمْرَانَ الْمِنْقَرِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ يَوْمًا فِي شَيْءٍ قَالَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، لَيْسَ هَكَذَا يَقُولُ الْفُقَهَاءُ. فَقَالَ: "وَيْحَكَ وَرَأَيْتَ أَنْتَ فَقِيهًا قَطُّ، إِنَّمَا الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبُ فِي الْآخِرَةِ، الْبَصِيرُ بِأَمْرِ دِينِهِ، الْمُدَاوِمُ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ".

➥ وقال: أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ يُونُسَ، قَالَ: "كَتَبَ إِلَيَّ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: إِيَّاكَ وَالْخُصُومَةَ وَالْجِدَالَ فِي الدِّينِ، وَلَا تُجَادِلَنَّ عَالِمًا، وَلَا جَاهِلًا، أَمَّا الْعَالِمُ، فَإِنَّهُ يَخْزُنُ عَنْكَ عِلْمَهُ وَلَا يُبَالِي مَا صَنَعْتَ، وَأَمَّا الْجَاهِلُ، فَإِنَّهُ يُخَشِّنُ بِصَدْرِكَ وَلَا يُطِيعُكَ".

(الشرح)

ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- في هذا الباب ما يدل على أن العلم يحمل على خشية الله، وأن العلم هو الخشية.

وذكر من الآثار ما يدل على ذلك:

⇦ ومن ذلك: قول: (عَبْدَ الْأَعْلَى التَّيْمِيَّ يَقُولُ: "مَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ، لَخَلِيقٌ أَلَّا يَكُونَ أُوتِيَ عِلْمًا يَنْفَعُهُ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى نَعَتَ الْعُلَمَاءَ ثُمَّ قَرَأَ القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[الإسراء:١٠٧] إِلَى قَوْلِهِ ﴿يَبْكُونَ﴾[الإسراء:١٠٩]).

✍ ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ (١٠٩)﴾[الإسراء:١٠٧-١٠٩].

☚ وهذا على كل حال، هذا الذي ذكره عبد الأعلى التيمي -رَحِمَهُ الله- هو صورة من صور الخشوع والخشية، وإلا فإن الإنسان قد يؤتى علمًا، ويكون علمه يحمله على مخافة الله، لكن لا يبكي، ليس بشرط أن يبكي، هو لا شك إذا حمله علمه على مخافة الله، وإن لم يظهر ذلك منه، فإنه يكون قد أوتي علمًا نافعًا، لكنها صورة من صور الخشية.

⇦وكذلك ما ذكره (**عِمْرَانَ الْمِنْقَرِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ يَوْمًا فِي شَيْءٍ قَالَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، لَيْسَ هَكَذَا يَقُولُ الْفُقَهَاءُ. فَقَالَ: "وَيْحَكَ وَرَأَيْتَ أَنْتَ فَقِيهًا قَطُّ، إِنَّمَا الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبُ فِي الْآخِرَةِ، الْبَصِيرُ بِأَمْرِ دِينِهِ، الْمُدَاوِمُ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ"**) وهذا صحيح، هذا وصفٌ دقيقٌ جامعٌ مانع، زاهدٌ في الدنيا، راغبٌ في الآخرة، بصيرٌ بأمر دينه، مداومٍ على عبادة ربه.

✍ **ومن المداومة على عبادة الله** ألا تفوته تكبيرة الإحرام مع الإمام؛ ولهذا كان بعض الرواة يذهب إلى المحدثين لأخذ الحديث عنه، فإذا رأوا أن يتساهل بتكبيرة الإحرام تركوا الحديث عنه.

✍ وقال إبراهيم النخعي -رَحِمَهُ الله-: {إذا رأيت الرجل يتكاسل بتكبيرة الإحرام، فاغسل يديك منه} يعني إذا كان هذا وهو محدَّث، وينقل الحديث، أو يرويه للناس لا يحرص عليها، فلا تأخذ الحديث منه، هو أولى الناس أن يحرص على تكبيرة الإحرام، وعلى تطبيق السنة، وعلى الإتيان بها.

❁ **ثم إذن هذه القاعدة التي ذكرها الحسن قاعدةٌ جامعةٌ مانعة**: [الزهد في الدنيا ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع هو ترك ما يضر في الآخرة].

(**والراغب في الآخرة**) راغب يعني يتعلق قلبه بها، يرغب بما عند الله من الخيرات الوفيرات في الجنات العاليات، (**الْبَصِيرُ بِأَمْرِ دِينِهِ، الْمُدَاوِمُ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ**) نسأل الله أن يجعلنا كذلك.

⇦ ثم ذكر -رَحِمَهُ الله- بعد ذلك قول (**مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ "إِيَّاكَ وَالْخُصُومَةَ وَالْجِدَالَ فِي الدِّينِ، وَلَا تُجَادِلَنَّ عَالِمًا، وَلَا جَاهِلًا**) ليه؟

(أَمَّا الْعَالِمُ، فَإِنَّهُ يَخْزُنُ عَنْكَ عِلْمَهُ وَلَا يُبَالِي مَا صَنَعْتَ") هذا في المجادلة، إذن لا تجادل العالم؛ لأنك لن تحصل منه شيئًا إذا جادلته بغير حق، لكن إذا جادلته لتريد الوصول إلى الحق. فهذا أمر آخر.

✍ ولهذا قال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥].

✍ قال: ("وَأَمَّا الْجَاهِلُ، فَإِنَّهُ يُخَشِّنُ بِصَدْرِكَ وَلَا يُطِيعُكَ") يعني يغيظك، ويُظهِر عليك التعالي، لكن لا ينقاد لك.

(المتن)

⬅ قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابٌ فِي اجْتِنَابِ الْأَهْوَاءِ)

⬅ قال: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ: "قَالَ إِبْلِيسُ لِأَوْلِيَائِهِ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَأْتُونَ بَنِي آدَمَ؟ فَقَالُوا: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. قَالَ: فَهَلْ تَأْتُونَهُمْ مِنْ قِبَلِ الِاسْتِغْفَارِ؟ قالُوا: هَيْهَاتَ، ذَاكَ شَيْءٌ قُرِنَ بِالتَّوْحِيدِ. قَالَ: لَأَبُثَّنَّ فِيهِمْ شَيْئًا لَا يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ مِنْهُ. قَالَ: فَبَثَّ فِيهِمُ الْأَهْوَاءَ".

⬅ وقال: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الْمُحَارِبِيِّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: "مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ عَلَيَّ أَعْظَمُ: أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أَوْ عَافَانِي مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ".

(الشرح)

هذا ذكر المصنف في هذا الباب ما يتعلق بـ(اجْتِنَابِ الْأَهْوَاءِ).

(الْأَهْوَاءِ) كل ما يخالف السبيل والكتاب والسنة، فهو من الأهواء، كل ما خالف الكتاب والسبيل والسنة فهو من الأهواء، واتباع الأهواء مما يزينه الشيطان في قلوب بعض الناس، يزين البدعة لهم، ويحسنها في أعينهم، وربما قلل أو عظَّم من شأن المعصية، قلل من شأن البدعة، وعظَّم من شأن المعصية؛ حتى يُقبلوا على البدعة ويبتعدوا عن المعصية.

ولهذا الشيطان أشد فرحًا بفعل العبد للبدعة أكثر منه بفعل العبد للمعصية؛ لأن المعصية أثرها على العبد وحده، وأما البدعة فأثرها عليه وعلى غيره، ثم إن أثرها ظاهرٌ عليه أيضا، إنه إذا فعل بدعة فإن يُنتَزع منه سنة، ثم إن هذه البدع كلها ضلالة تهديه إلى النار.

☜ ولهذا لاحظ! **(الشيطان يقول: لأبثَّنَّ فِيهِمُ الْأَهْوَاءَ")** يعني البدع والضلالات؛ ولهذا دائمًا اسأل ربك أن يحميك من الأهواء المضلة، وقل: ربّي اللهم ارزقني اتباع السبيل والسنة، وتوفني على سنة نبيك -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّم-.

(المتن)

➥ قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ مَنْ رَخَّصَ فِي الْحَدِيثِ إِذَا أَصَابَ الْمَعْنَى)

➥ قال: **أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلَفٍ، حَدَّثَنِي مَعْنٌ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ مَكْحُولٍ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: "إِذَا حَدَّثْنَاكُمْ بِالْحَدِيثِ عَلَى مَعْنَاهُ فَحَسْبُكُمْ".**

➥ وقال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، قَالَ: كَانَ الشَّعْبِيُّ، وَالنَّخَعِيُّ، وَالْحَسَنُ يُحَدِّثُونَ بِالْحَدِيثِ مَرَّةً هَكَذَا، وَمَرَّةً هَكَذَا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ فَقَالَ: "أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ حَدَّثُوا بِهِ كَمَا سَمِعُوهُ، كَانَ خَيْرًا لَهُمْ".

(الشرح)

أشار المصنف -رَحِمَهُ الله- في هذا الباب إلى (مَنْ رَخَّصَ فِي الْحَدِيثِ إِذَا أَصَابَ الْمَعْنَى).

✍ **والرواية بالمعنى** اختلف العلماء -رَحِمَهُم الله- من المحدثين وغيرهم فيها.

والصحيح: أن الرواية بالمعنى جائزة، بشرط أن يكون عالمًا بما يحيل المعاني إلى غيرها.

ذكروا شروطًا نص عليها ابن حجر -رَحِمَهُ الله- في [النخبة]، وفصَّلها أكثر في شرح النخبة في [النزهة]؛ ولهذا المصنف -رَحِمَهُ الله-: (مَنْ رَخَّصَ فِي الْحَدِيثِ إِذَا أَصَابَ الْمَعْنَى)

إذن نقول: بالمعنى إذا أصابه.

(المتن)

➥ قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابٌ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْعَالِمِ)

➥ قال: أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَنبَأَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: قَالَ سُفْيَانُ: "مَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَحِفْظِهِ لِمَنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى بِهِ خَيْرًا".

➥ وقال: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا مِنْ رَجُلٍ

يَسْلُكُ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، إِلَّا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

(الشرح)

ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- في هذا الباب ما يتعلق بـ(**فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْعَالِمِ والعلماء**).

- وهذا الباب أفاض فيه المنصف جدًّا كثيرًا، وذكر أحاديث وآثار تدل على فضل العلم والعلماء.

- وهذا الباب قد صُنِّف فيه مصنفات، وقد بيَّن ابن القيم -رَحِمَهُ الله- في كتابه [مفتاح دار السعادة] في مجلدٍ كامل بيان فضل العلم والعلماء ومكانته، وأن الله سبحانه قد رفع أهل العلم درجات ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:١١]، ورفعته حسية ومعنوية، وهي رفعةٌ في الدنيا وفي الآخرة.

- وأشار -رَحِمَهُ الله- أيضًا كذلك الخطيب البغدادي في [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع]، وفي كتابه الآخر [الفقيه والمتفقه]، والكتب في هذا الباب كثيرةٌ مشهور، لكن لا نطيل بقراءة الحديث لأن الوقت لا يسمح.

✍ أبرز حديث، وأصح حديث ورد هو الذي قرأناه وهو حديث «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» يعني أن طلب العلم هو طريقٌ إلى الجنة، فإذا أردت أيها المسلم أن تصل إلى الجنة من طريقها فاطلب العلم.

- وهذا إنما يحصل للعبد بعد توفيق الله، وإخلاص النية، وحسن القصد، وبذل الجهد ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت:٦٩].

✪ إذن أعظم فائدة تحصل لطالب العلم هو أنه بطلبه للعلم يسلك طريق الجنة.

★ **لكن** «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّة» **هل المراد به الطريق الحسي، أو الطريق المعنوي؟**

نقول: الحسي والمعنوي؛ طلبه للعلم يحصل بطريقه الحسي والمعنوي.

☚ **طريقه الحسي** بالذهاب إلى أهل العلم، والجلوس معهم، وتحصيله بوسائله المتعددة في عصرنا.

☚ **وكذلك طريقه المعنوي** بكثرة التضرع، وحصول الخشية، والدعاء، والحفظ، وما أشبه ذلك حديث «سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّة».

(المتن)

⬅ قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بغَيْرِ نِيَّةٍ فَرَدَّهُ الْعِلْمُ إِلَى النِّيَّةِ).

(الشرح)

هذا الباب ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- فيه آثار، لم يصح فيه شيءٌ من الآثار.

⇦ لكن المراد (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بِغَيْرِ نِيَّةٍ) فإنه مع استمراره وحرصه وجده واجتهاده تحصل له النية.

✍ قال بعض السلف -وهذا ما ذكره المصنف-: {طلبنا العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون لله}.

★ **طلبوه لغير الله لأي شيء؟**

ربما للجاه، ربما للمنصب، ربما ليمتازوا عن أصحابهم وأقرانهم، لكن الله سبحانه مع المجاهدة ومع الاستمرار أبى إلا أن يكون لله.

✍ إذن نقول للإنسان مع طلبه العلم ولو كان بغير نية ابتداء طلبه، لكنه مع الجد والاجتهاد، والحرص، والاستمرار، والمواظبة، والدعاء يكون لله.

(المتن)

⬅ قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ التَّوْبِيخِ لِمَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ)

⬅ قال: **أَخْبَرَنَا مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: "الْعِلْمُ عِلْمَانِ: فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ".**

⬅ وقال: **أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ بُرْدِ بْنِ سِنَانٍ أَبِي الْعَلَاءِ، عَنْ مَكْحُولٍ، قَالَ: "مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ وَلِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ".**

(الشرح)

☚ هذا الباب أشار المصنف -رَحِمَهُ الله- فيه إلى عقوبة من يطلب العلم لغير الله، فإن عقوبته أن يعاقب بضده، وأن يكون علمه وبالًا عليه.

⇦ وقال -ذكر قول (الحسن: **"الْعِلْمُ عِلْمَانِ: فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ"**) يعني في اللسان فقط لا يصل إلى القلب، وهذا حجة عليك لا لك.

⇦ وكذلك ذكر قول (مَكْحُولٍ: **"مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ"**) يماريهم، يجاريهم (**"وَلِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ"**) يعني يفتخر أمام العلماء بعلمه (**"أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ"**) يعني حتى يقولون: هذا فلان، أو مثلًا الشيخ الفلاني، أو العالم الفلاني، يجعل الناس ينصرفون إليه، لا ينصرفون إلى غيره، فهو في نار جهنم.

☚ وهذا الذي ذكر مكحول طبعًا هو قول تابعي، وأنت تعلم أن قول التابعي مقطوع، لكن إذا ورد له ما يشهد لهذا القول من الكتاب أو السنة الصحيحة، أو قول صحابي فهو مقبول، وإلا لم يُقبَل، **وبناءً عليه**، فإنه يكون اجتهاد ورأي لمكحولٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- يحتاج إلى أن يُنظَر هل دل على ذلك شيءٌ من الكتاب والسنة أم لا؟

☚ وقد ذكر المصنف بعده مباشرة حديث مكحول المرسل. فعندنا حديث مرسل له، وحديثٌ قولٌ مقطوعٌ له يدل على ذلك.

⇦ قبل أن ننتقل عن هذا الباب في أيضًا أثر مهم جدًّا، وهو أثر عبد الله بن مسعود -رَضِيَ الله عَنْهُ-، وهو (**"إِنِّي لَأَحْسَبُ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ كَانَ يَعْلَمُهُ لِلْخَطِيئَةِ كَانَ يَعْمَلُهَا"**) وهذا مهم جدًّا، وهذه عبارة مهمة أن المعاصي تطفئ نور العلم من القلب.

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المعَاصِي
وقال: اعلم بأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ... ونورُ الله لا يؤتاه عَاصِي

فكل من عصى الله سبحانه فإنه ينتقص من النور والعلم الذي يؤتيه الله لعبده ما معه.

✍وحينئذٍ نقول: احذر كل الحذر من المعاصي والسيئات؛ إذا أردت أن تحفظ، إذا أردت أن تعلم، إذا أردت أن تفهم، فابتعد عن المعاصي والسيئات، فإن من ابتعد عن

المعاصي والسيئات وراقب رب البريات نور الله بصيرته، وأنار قلبه، ورزقه فقهًا وفقهمًا وعلمًا وحفظًا.

✍ وقد ذكر ابن القيم -رَحِمَهُ الله- في كتابه [الداء والدواء]، وفي كتابه [الجواب الكافي] آثار الذنوب والمعاصي على الفرد، والمجتمع، وعلى الأسرة، وذكر آثارًا قبيحة لها.

(المتن)

⬅ قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ اجْتِنَابِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَالْبِدَعِ، وَالْخُصُومَةِ)

⬅ قال: **أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: "لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ"**.

(الشرح)

هذا الباب ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- فيما يتعلق بالحذر كل الحذر من مجالسة أهل الأهواء والجدال، والبدع، والخصومة؛ لئلا يتأثر جليسهم بهم، فيغمسونه في ضلالتهم، ويغمسونه في شبههم، ويغمسونه في بدعهم وأهوائهم، إذن اعتزلهم، اللهم إلا للعالم الذي يجالسهم ليبدي الحجة عليهم، ومخاصمتهم وإقناعهم بالحق، فهذا لا شك أن مجالستهم لا بد منها، لكن الذي ليس عنده علم، وليس عنده قوة مواجهة ومجابهة لهم، فالواجب عليه أن ينصرف عنهم.

✍ وأنت ترى في عصرنا الآن هناك بعض القنوات مثلًا تأتي بماذا؟ بما يسمى مجادلة مثلًا بين سني، وبين مثلًا مبتدع يتناظران، لا ينبغي لهذا الذي يؤتى به من أهل السنة إلا

أن يكون قويًّا في الحُجة؛ لأنه إذا ناظره الآخر، الطرف الآخر وكان مبتدعًا فحجَّه، فيكون ماذا؟ يتأثر الناس بمن؟ يتأثر الناس بالخصم المبتدع لقوة حجته، فيضرب صاحب هذه الحجة الضعيفة من أهل السنة فيقل قوة السنة واهتمام الناس بها، ولزومها.

✍ **إذن يقال**: لا ينبغي للإنسان أن يجادل أهل الأهواء، بل لا يجوز أن يجادلهم، أو يجالسهم، أو يخالطهم لهذا السبب الذي أشار إليه المصنف، إلا إذا كان قويًّا في حجته في السنة، وأراد إقامة الحجة عليه ودمغه، وكشف شبهه وضلالاته وأهوائه. فنعم.

(المتن)

⬅قال المصنف –رَحِمَهُ الله تَعَالَى–:

(بَابُ التَّسْوِيَةِ فِي الْعِلْمِ)

⬅ قال: **أَخْبَرَنَا بِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ ابْنِ مَيْسَرَةَ، قَالَ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، الشَّرِيفُ، وَالْوَضِيعُ، عِنْدَهُ سَوَاءٌ، غَيْرَ طَاوُسٍ، وَهُوَ يَحْلِفُ عَلَيْهِ".**

(الشرح)

ذكر المصنف –رَحِمَهُ الله– في هذا الباب فيما يتعلق **(التَّسْوِيَةِ فِي الْعِلْمِ)** يعني لا يفضِّل أحدًا على أحد، بل ينشر العلم للناس، ولا يخص شخصًا على شخص.

★ **لأنك تريد ماذا؟**

تريد نفعهم، وتعليمهم، ورفع الجهل عنهم، ولا تخص فلانًا من فلان، لا تخص أحدًا، بل ساوي الناس في نشرك للعلم، ولا تخص أحدًا؛ لأنك إذا خصصت أحدًا، فربما تضره

من غير ما تشعر؛ **لأنه ماذا؟** يحسده الناس على تخصيصك إياه، بخلاف ما إذا كان كلامك عامًّا لجميع الناس، فإن ذلك أدعى لقبولهم، واستجابتهم، وانتفاعهم بعلمك.

(المتن)

← قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابٌ فِي تَوْقِيرِ الْعُلَمَاءِ)

← قال: **أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مُغِيرَةَ، قَالَ: "كُنَّا نَهَابُ إِبْرَاهِيمَ هَيْبَةَ الْأَمِيرِ".**

← وقال: **أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ عِمْرَانَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ ضُرَيْسٍ، حَدَّثَنَا أَبُو سِنَانٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَحَدَّثَ بِحَدِيثٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَنْ حَدَّثَكَ هَذَا -أَوْ مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟- فَغَضِبَ وَمَنَعَنَا حَدِيثَهُ حَتَّى قَامَ".**

(الشرح)

(توقير العلماء) هو من توقير العلم، وهو من العناية بالعلم، وهو ممن رفع الله -عَزَّ وَجَل- قدرهم؛ لأنك إذا وقَّرت العالم فقد احترمت علمه، وقد احترمت العلم الذي يحمله، وقد امتثلت أمر الله سبحانه برفعته ﴿يَرْفَعِ اللهُّ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:١١]

✍ وقد ذكر ابن جماعة -رَحِمَهُ الله- في كتابه فيما يتعلق بالكتاب الذي ألفه في فضل العلم، وكذلك ابن عبد البر في [جامع بيان العلم وفضله] ذكروا آداب طالب العلم مع شيخه:

- توقيره.
- واحترامه.
- وعدم التقدم بين يديه.
- وعدم مقاطعته.
- وكذلك ابتداؤه بالسلام.

يعني ذكروا عدة آداب أشاروا إليها من ذلك توقيره واحترامه، فإن توقيره واحترامه هو احترامٌ للعلم الذي يحمله، وهو احترامٌ أيضًا، بل امتثالٌ أيضًا لما أكرمه الله سبحانه به من الرفعة.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابٌ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الثِّقَاتِ)

قال: **أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مِسْعَرٍ، قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: "لَا يُحَدِّثْ عَنْ رَسُولِ اللهِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إِلَّا الثِّقَاتُ"**.

(الشرح)

هذا شرط من شروط الحديث الصحيح، وهو الحديث المعمول به، وهو أن يكون متصل السند برواية عدلٍ ضابط عن مثله، وخلا من الشذوذ والعلة.

فالثقة المراد به العدالة والضبط، الثقة هي العدالة والضبط، العدل ألا يصر على صغيرة، وألا يأتي كبيرة.

والمروءة: ألا يفعل ما يخالف أعراف الناس، وإن شئت فقل: أن يفعل ما يُجمِّله ويزينه، ويجتنب ما يُقبِّحه ويشينه. هذا هو الثقة.

- إذن لا يُقبَل ولا يُحدِّث عن رسول الله إلا الثقات، وهذا كما عرفت هو شرط من شروط الحديث الصحيح.

- يخرج به الحديث الضعيف، وقبله الكذاب والوضَّاع وما أشبه ذلك.

- وهناك حديث من قيل فيه صدوق، فإن حديثه يُقبَل.

★ **لأن الصدوق هو ماذا؟**

من خف ضبطه، هو الثقة الذي خف ضبطه.

✍ **وقد قال ابن حجر -رَحِمَهُ الله- في [النخبة] لما ذكر الحسن لذاته، قال**: {فإن خف الضبط فالحسن لذاته، وبكثرة طرقه يُصَحح}.

- هناك حديث آخر وهو حديث سيئ الحفظ هذا لا يُقبَل إلا إذا توبع.

✍ **وقد قال ابن حجر**: {وإذا توبع سيئ الحفظ بمعتبر كان حديثهم حسنًا لا لذاته، بل بالمجموع} يعني حسنًا لغيره.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ تَفْسِيرِ حَدِيثِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَوْلِ غَيْرِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-)

قال: أَخْبَرَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ الله عَنْهُمَا-: **"أَمَا تَخَافُونَ أَنْ تُعَذَّبُوا، أَوْ يُخْسَفَ بِكُمْ، أَنْ تَقُولُوا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَالَ فُلَانٌ؟"**.

(الشرح)

هذا الباب ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- **(ما ينبغي أن يُتَّقَى مِنْ تَفْسِيرِ حَدِيثِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَوْلِ غَيْرِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ)**؛ يعني أن الإنسان إذا ورده حديثٌ صحيح عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فإنه ينبغي أن يقول: سمعنا، وآمنا، وصدقنا، لا يقول: قال فلانٌ، وقال فلان.

لهذا قال ابن عباس -رَضِيَ الله عَنْهُ-: **"يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول لكم: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكرٍ وعمر!"**

وهنا كذلك قال: (**"أَمَا تَخَافُونَ أَنْ تُعَذَّبُوا، أَوْ يُخْسَفَ بِكُمْ، أَنْ أقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وتقولون: قَالَ فُلَانٌ؟!"**) هذا خطأٌ عظيم ونقصٌ في الدين.

وهذا فيه دليل على أنه ينبغي للإنسان إذا سمع حديثًا عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن يستسلم له.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:٣٦].

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[النور:٥١].

✍ وقال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥].

نسأل الله أن يرزقنا التسليم لرسوله، وأن يتوفانا على ملته، إنه جوادٌ كريم، برٌّ رحيم.

والله الموفق، وبهذا تكون انتهينا من التعليق على المختارات في هذا اليوم، ونُكمِل بإذن الله تعالى في مثل هذا الوقت يوم غدٍ إن شاء الله ما تبقى من [المقدمة]، والله الموفق.

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاع الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنَهُ الشَّيْطَان فِي قُلُوب بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَةَ لَهُم وَيُحَسِّنُهَا فِي أَعْيُنَهم، وَرُبَّمَا قَلَّلَ أَوْ عَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمَعْصِيَة؛ قَلَّلَ مِنَ شَأْنِ الْبِدْعَة، وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمَعْصِيَة؛ حَتَّى يُقْبِلُوا عَلَى الْبِدْعَةِ، وَيَبْتَعِدُوا عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المجلس السادس

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاع الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنَهُ الشَّيْطَان فِي قُلُوب بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَةَ لَهُم.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:-

أيها الإخوة، فإننا نكمل التعليقات على مختارات من مقدمة الإمام الدارمي -رَحِمَه الله- لسننه.

وقد وقف بنا التعليق في الدرس الماضي على الباب التاسع والثلاثين وهو **(بَابُ تَعْجِيلِ عُقُوبَةِ مَنْ بَلَغَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ حَدِيثٌ فَلَمْ يُعَظِّمْهُ وَلَمْ يُوَقِّرْهُ)**.

فقال -رَحِمَهُ الله-.

(المتن)

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله.

➥ قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ تَعْجِيلِ عُقُوبَةِ مَنْ بَلَغَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- حَدِيثٌ فَلَمْ يُعَظِّمْهُ وَلَمْ يُوَقِّرْهُ).

➥ قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي ابْنُ عَجْلَانَ، عَنِ الْعَجْلَانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ-، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ فِي بُرْدَيْنِ، خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» فَقَالَ لَهُ فَتًى قَدْ سَمَّاهُ وَهُوَ فِي حُلَّةٍ لَهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَهَكَذَا كَانَ يَمْشِي ذَلِكَ الْفَتَى الَّذِي خُسِفَ بِهِ؟ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ، فَعَثَرَ عَثْرَةً كَادَ يَتَكَسَّرُ مِنْهَا، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "لِلْمَنْخَرَيْنِ، وَلِلْفَمِ، ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[الحجر:٩٥]".

➥ وقال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا كَهْمَسُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ: "رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُغَفَّلٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَخْذِفُ، فَقَالَ: لَا تَخْذِفْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَنْهَى عَنِ الْخَذْفِ وكَانَ يَكْرَهُه، وإنه لَا يُنْكَأُ بِهِ

عَدُوٌّ، وَلَا يُصَادُ بِهِ صَيْدٌ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَفْقَأُ الْعَيْنَ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ، ثُمَّ رَآهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كانَ يَنْهَى عنهُ، ثُمَّ أَرَاكَ تَخْذِفُ، وَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا".

(الشرح)

ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- في هذا الباب، باب ما ورد من الأحاديث والآثار فيمن لم يُعظِّم حديث النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فإن الله يعاقبه، يعاقبه في الدنيا قبل الآخرة، يعاقبه في الدنيا بأن يعاقبه بخلاف ما قصد، أو بعقوبةٍ من نحو ما استهزأ به.

✍ وقد ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- أحاديث وآثار تدل على ذلك، منها ما ذكر:

⇦ (أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ فِي بُرْدَيْنِ، خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» فَقَالَ لَهُ فَتًى قَدْ سَمَّاهُ وَهُوَ فِي حُلَّةٍ لَهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَهَكَذَا كَانَ يَمْشِي ذَلِكَ الْفَتَى الَّذِي خُسِفَ بِهِ؟ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ، فَعَثَرَ عَثْرَةً كَادَ يَتَكَسَّرُ مِنْهَا).

يعني كأنه يستهزئ بالكيفية التي خسف الله به هذا الذي يتبختر، الرجل الذي يتبختر، فعاقبه الله -سبحانه وبحمده- بأن عَثَر، عَثَر هو عَثْرةً يعني برجله، فكادت رجله أن تنكسر عقوبةً على استهزائه وعدم معرفة الكيفية، أو ما أشبه ذلك.

وقد ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- أحاديث وآثار تدل على ذلك، وهي كثيرة.

✍ وذكر أيضًا النووي -رَحِمَهُ الله- في كتابه [بستان العارفين] نماذج وقصصًا نحو ذلك، من ذلك:

أن رجلًا ذهب إلى أحد المحدثين، وجعل هذا المحدث يحدث هذا الرجل الراوي من وراء ستار، فلما كان في آخر يوم ألح الراوي على الشيخ أن يكشف الستار عنه، فلما كشف الستار عنه إذا وجهه وجه حمار، فقال: يا بني لا تستهزئ أو تستبعد وقوع حديث رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فإني سمعت قول النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «أَمَا يَخْشَى الذِي يَرْفَع رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَام أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَار، أَوْ يَجْعَل صُورَتَهُ صُورَة حِمَار» فاستبعدت وقوعه، ففعلت ذلك، ففعل الله بي ما ترى.

إذن كون الإنسان يستبعد، أو يستهزئ بسنة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فإنه يعاقب، (٦:٤٤) يقال: الواجب على المرء أن يستسلم لسنة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وأن ينقاد لها، وأن يسأل ربه أن يعينه على تطبيقها، وإذا علم الله منه صدق النية، وحُسْن القصد، وإرادة الاتباع والالتزام للسنة أعانه ووفقه.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ مَنْ كَرِهَ أَنْ يُمِلَّ النَّاسَ)

قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: "لَا تُمِلُّوا النَّاسَ".

(الشرح)

هذا الباب عقده المصنف -رَحِمَهُ الله- ببيان حال الناس، وأنه ينبغي لمن أراد أن يُحَدِّث أن يراعي حال الناس، لا يُمِلَّهم بكثرة المواعظ، فإن الناس يُملِّون؛ ولهذا كان

النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- يتخوَّل أو يتحيّن أصحابه بالموعظة لكيلا يملهم، فتلحقهم السآمة.

✍ **إذن نقول**: ينبغي للإنسان يتحين، ينظر إلى الفرص التي فيها إقبال الناس ونشاط قلوبهم، فيذكرهم ويعلمهم، ومتى ما رأى منهم عدم ذلك، أو انشغالًا أو ما أشبه ذلك، فلينصرف لا يعظهم.

☜ **ومثل ذلك**: خطبة الجمعة، فإنه ينبغي للخطيب أن يقتصر في خطبته؛ لأن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال كما ثبت في الصحيح: «إِنَّ طُولَ صَلَاة الرَّجُل وَقِصَر خِطْبَتِه مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ»؛ يعني علامةٌ على فقهه.

لأن الناس لو خطبت مثلًا نصف ساعة، أو خطبت ثلث ساعة الناس يُمِلُّون، وتضيع المواضيع؛ يعني أنا الآن اليوم صليت في مسجد، -ما أذكر المسجد- خطب الخطيب نصف ساعة بالضبط إلا دقيقتين تقريبًا، لكن أرى الناس، أنا انظر إلى الناس، الناس يملون، يعني كل واحد يتلفت، لماذا لم تقتصر أيها الخطيب على عشر دقائق، أو سبع دقائق مركزة يعني يستفيد الناس منها، ويستحضرونها، ثم لا يُمِلُّون حديثك، أما أن تطيل يضيع الكلام بعضه بعضًا أوله أو آخره أوله.

ولهذا خُطَب النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- كانت قصيرة جدًّا، وكان كلامه -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- جامعًا، فلنقتدي به -صلوات الله وسلامه عليه-.

(المتن)

➥ قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ كِتَابَةَ الْحَدِيثِ)

➥ قال: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أخبرنا هَمَّامٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ الله عَنْهُ-، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا إِلَّا الْقُرْآنَ، فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ، فَلْيَمْحُهُ».

(الشرح)

هذا الباب عقده المصنف -رَحِمَهُ الله- والباب الذي يليه فيما يتعلق بالنهي عن كتابة الحديث، والباب الذي يليه فيما يتعلق بالرخصة أو الإذن في كتابة العلم والحديث.

✍ ولكن اعلم أن النهي الوارد عن كتابة الحديث كان في أول الأمر؛ لئلا يختلط الحديث بالقرآن، لكن لما تبيَّن بعد ذلك، وتميز، وصار القرآن محفوظًا بحفظ الله له -سبحانه وبحمده-، ثم بكتابته في المصاحف، وبحفظه في الصدور، جاء الإذن بعد ذلك بكتابة الحديث عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

☜ وهذا الجمع هو الذي اختاره الأئمة النقاد من أهل العلم، أن النهي كان أولًا خشية أن يختلط الحديث بالقرآن، ثم نُسِخ بعدما حُفِظ القرآن في الصدور، وحُفِظَ في السطور، في المصاحف، وأُمِنَ منه ماذا؟ أن يختلط بالقرآن، أو أن يختلط الحديث بالقرآن، فلما أُمِنَ هذا الذي خُشِي منه، وهو الاختلاط رُخِّص بعد ذلك في الكتابة.

(المتن)

➥ قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ مَنْ رَخَّصَ فِي كِتَابَةِ الْعِلْمِ)

➥ قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَخِيهِ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- يَقُولُ: "لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ".

← وقال: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَبُو مَعْمَرٍ، عَنْ أَبِي ضَمْرَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: "أَنْ اكْتُبْ إِلَيَّ بِمَا ثَبَتَ عِنْدَكَ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَبِحَدِيثِ عَمْرَةَ، فَإِنِّي قَدْ خَشِيتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَهُ".

(الشرح)

ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- أحاديث وآثار تدل على الإذن والرخصة في كتابة العلم والحديث، وهذا كان بعد أن أُمِنَ اختلاط القرآن بالسنة والحديث، وعليه جرى أهل العلم سلفًا وخلفًا فدوَّنُوا الأحاديث في المصنفات، وفي المستدركات، وفي المستخرجات، والأجزاء، فحُفِظت بعد ذلك بحفظ الله لها، كما حُفِظَ القرآن، فاجتمع بحمد الله حفظ الكتاب والسنة.

(المتن)

← قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً)

← قال: أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنَاه عَاصِمٌ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ جَرِيرٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً عُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ،

وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ يعمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِم شَيْءٌ».

⬅ وقال: أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ، مَوْلَى الْحُرَقَةِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن اتَّبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ، مِثْلُ آثَامِ مَنْ تبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».

(الشرح)

هذا الباب ذكر فيه المصنف -رَحِمَهُ الله- (بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً).

✍ وذكر فيه حديثان جليلان عظيمان هما:

☚ حديث (جرير بن عبد الله البجلي -رَضِيَ الله عَنْهُ-).

☚ وحديث (أبي هريرة -رَضِيَ الله عَنْهُ-).

وهما حديثان مهمان جدًّا، وفيهما أجرٌ وثواب.

⇦ أما حديث (جرير) ففيه (قول النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً عُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ»).

«مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً» يعني ابتدأ فعلها، فتسابق الناس عليه، فله أجر من فعل مثله بعد فعله.

☚ وهذا الحديث له قصة، وهو أن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- جاءه رجالٌ، جاءه أعراب مجتابي النِّمار، يظهر عليهم الفقر والمسكنة والحاجة، فجلسوا بين يدي النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يريدون عطاءً، فحث النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- أصحابه بالصدقة لهم، فجاء رجلٌ بسُرةٍ كادت يده أن تعجز عن حملها، فوضعها بين يدي رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- -يعني صدقة- فلما رآه الناس تتابعوا كلٌّ يأتي بشيء، كلٌّ يأتي بصدقة، فتهلل وجه النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ثم قال: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا».

★ **هذه السنة في الحديث، هل هي سنة شرعها، أو ابتدأ فعلها؟**

ليس له أن يشرع شيئًا؛ لأن الشارع هو الله، والشارع رسوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- بما أوحاه الله إليه، لكن ابتدأ فعلها بعدما أن أُميتت، أو بعد أن تكاسل الناس عنها.

✍ ولهذا لاحظ هذا الرجل جاء بسرة ووضعها بين يدي النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-، فلما رآه الناس كلهم تبادروا تسابقوا إلى الخير، وهكذا كلما فعلت سنةً وأحييتها، ونشرتها ففعلها أناسٌ بفعلك، فلك من الأجر مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجرهم شيء.

⇦ وكذلك الحديث الآخر («مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»).

☚ وهذا الحديث فيه دليل على فضل وأهمية الدعوة إلى الله، وأنها سبيل عباد الله المخلصين، وأنبيائه المرسلين، وهي -أعني الدعوة إلى الله- الداعي إلى الله دعوته أحسن

الأدعية، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت:٣٣].

✍والداعي إلى الله معه سلاح، فهو أبعد الناس عن الانحراف والضلال بعد توفيق الله له ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة:١٠٥].

✍ استنبط الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رَحِمَهُ الله- في آخرين إلى هذه الآية تدل على فضل الدعوة إلى الله، وأن الداعي إلى الله هو أبعد الناس عن الضلال والانحراف؛ لأن معه سلاح؛ ولهذا قال: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة:١٠٥].

★ **ومتى تهتدون؟**

إذا دعوتم إلى الله -عَزَّ وَجَل- وأرشدتم الناس، ودللتموهم الصراط المستقيم، وهديتموهم هداية الإرشاد والدلالة.

★ **لكن اعلم أن الداعي لا بد أن يكون عنده ماذا؟**

لكن لا بد أن يكون عنده علم؛ ولهذا من شروط الداعي إلى الله أن يكون عنده علم بما يدعو إليه.

✍ قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- لمعاذ بن جبل: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَاب» يعني فلا بد أن يكون عندك علم حتى تستطيع أن تحاج هؤلاء أهل الكتاب؛ لأن عندهم علم.

✍ **ومن شروطه أيضًا**: البداءة بالأهم فالأهم، لقوله: «فَلِيَكُنْ أَوَّل مَا تَدْعُوهُم إِلَيْه شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله» فأنت إذا ذهبت إلى أناسٍ فيهم انحراف أو ضلال، فليكن أول ما تدعوهم إليه تحقيق التوحيد (لا إله إلا الله)، وأنت تعلم أن أي إنسانٍ يموت على التوحيد فإنه يدخل الجنة «مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّة، وَمَنْ مَات وَهُوَ

يُشرِك بالله شَيئًا دَخَلَ النَّار» مهما كان عنده من معاصي أو سيئات فإن الله يغفرها له ﴿إِنَّ اللهَّ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨].

✍ لكن كونك تأتي إلى الناس وأنت تعرف أن عندهم ضلال، وعندهم انحراف، وعندهم مثلًا تصوف غالي، وعندهم مثلًا تعظيم للقبور، وتدعوهم إلى فضائل الأعمال! هذا خطأ، ادعهم أولًا إلى أصل التوحيد.

وإن كان العلم ينقسم إلى: علم المسائل، وعلم الفضائل، لكن يختلف، أنت ذهبت إلى أناسٍ مسلمين محافظين، وعندهم توحيد لا بأس، اذكر فضائل الأعمال لهم، لكن إذا ذهبت إلى أناسٍ هم مقصرون في التوحيد، وعندهم تفريط في جانب العقيدة، في جانب توحيد الألوهية لا يحسن أن تذكر لهم فضائل الأعمال، الذي يحصل أن تبدأ دعوتك معهم وإياهم بالتوحيد، **لا سيما توحيد ماذا الربوبية أو الألوهية؟**

الألوهية (لا إله إلا الله) يعني لا معبود حق إلا الله.

✍ وأما توحيد الربوبية فكل الناس مقرون به، حتى المشركون، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[لقمان:٢٥].

❄ **ومنها أيضًا، من شروط الداعي إلى الله، قلنا:**

❶ **الشرط الأول**: أن يكون عنده علم.

❷ **والشرط الثاني**: أن يبدأ بالأهم فالأهم.

❸ **الشرط الثالث**: العلم بحال المدعو.

★ **كيف ذلك؟**

يعني لا بد أن تعرف الناس اللي تذهب إليهم هل هم كفار؟ هل هم أهل كتاب؟ هل هم مسلمون مقصرون؟ هل هم مفرطون؟ هل هم عصاة؟ هل هم فسَّاق؟ لأنك إذا عرفت حالهم استطعت أن تتعامل معهم.

هل هم طلبة علم وعندهم حجج؟ هل هم من عوام الناس؟ فإذا عرفت حال المدعو استطعت أن تسلك الطريق الذي توصل الدعوة من خلالها إليه.

⇦ ثم ذكر الحديث («وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ، مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ»).

★ **ولكن إذا قال قائل: كيف يتحمل الإنسان وزر غيره، وقد قال الله -عَزَّ وَجَل-**: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[الأنعام:١٦٤]؟

نقول: لا يتحملها، لكن هو الذي دلها إليه، فلما دله عليها كان كأنه ابتدأ فعلها، فكان إثم من تبعه يحمل إثم من فعلها بعده، من غير أن ينقص من آثامهم هم شيئًا.

وهذا انظر!

★ **أول من سنَّ القتل من؟**

قابيل قتل أخاه هابيل، فكان كما قال النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- في الحديث الثابت في الصحيحين: «**عَلَيْه إِثْم كُل مَنْ قَتَلَ بَعْدَ ذَلِك**» لأنه أول من سن القتل، أول من سنَّه؛ يعني ابتدأه («**لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»).

⮊ وهذا الحديثان كما عرفت فيهما دليل على العناية بالدعوة إلى الله، والحرص عليها، وأن يبدأ الإنسان بدعوة نفسه، وتحصينها بالعلم الشرعي، ثم يبدأ بأهله وذويه، ثم قرابته، ثم بعد ذلك سائر الناس.

(المتن)

➥ قال المصنف -رَحِمَه الله تَعَالَى-:

(بَابُ مَنْ كَرِهَ الشُّهْرَةَ وَالْمَعْرِفَةَ)

➥ قال: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَجَّاجِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: "جَهَدْنَا بِإِبْرَاهِيمَ أَنْ نُجْلِسَهُ إِلَى سَارِيَةٍ، فَأَبَى".

➥ وقال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ خَيْثَمَةَ، قَالَ: "كَانَ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ الْجُعْفِيُّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللهِ وَكَانُوا مُعْجَبِينَ بِهِ، فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، فَيُحَدِّثُهُمَا، فَإِذَا كَثُرُوا، قَامَ وَتَرَكَهُمْ".

(الشرح)

هذا فيما يتعلق بـ(مَنْ كَرِهَ الشُّهْرَةَ وَالْمَعْرِفَةَ) يعني ينبغي للإنسان أن يبتعد عن الشهرة، وأن يبتعد عن أن يُشار إليه بالبنان؛ لأن المقصود ليس أن ترتفع عند الناس، وليس المقصود من نشر العلم وبثه أن يكون لك جاهٌ عندهم، أو مكانةٌ عندهم، إنما مرادك الرفعة عند رب العالمين، وإذا ارتفعت عند الله رفعك المولى سبحانه على سائر المخلوقين.

✍ قال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:١١] وهذه الرفعة المذكورة في الآية الكريمة رفعةٌ حسية، ورفعةٌ معنوية يرفعه الله سبحانه رفعةً حسية في الدنيا، سواءً بالمناصب، أو بالجاه، أو بما أشبه ذلك، ويرفعهم رفعةً معنوية، بماذا؟ بما يقع في قلوب الناس من محبتهم، ومودتهم، واحترامهم، وتوقيرهم، وكذلك في الآخرة يرفعهم الله يوم القيامة درجات.

✍ السلف والأئمة –رحمة الله عليهم– كانوا يكرهون الشهرة، ويكرهون أن يُعرفوا؛ لأن غرضهم من نشر العلم وجه الله، والوصول إلى دار كرامته، لا يريدون ثناء الناس، أو جاه الناس، أو محمدتهم، أو معرفة الناس لهم، أو أن يشيروا إليهم، لا يريدون ذلك.

⇦ ولهذا قال الأعمش: (**"جَهَدْنَا بِإِبْرَاهِيمَ"**) يعني النخعي (**"حتى أَنْ نُجْلِسَهُ إِلَى سَارِيَةٍ، فَأَبَى"**) يعني لئلا يُعرَف، يريد أن يكون مع سائر الناس.

⇦ وكذلك (**الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ الْجُعْفِيُّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللهِ**) يعني عبد الله بن مسعود (**وَكَانُوا مُعْجَبِينَ بِهِ، فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، فَيُحَدِّثُهُمَا، فَإِذَا كَثُرُوا، قَامَ وَتَرَكَهُمْ**) وهذا من باب التواضع واحتقار النفس، وعدم طلب الشهرة والمعرفة.

✍ وإلا فمن المعلوم أن الإنسان يجلس لبث العلم ونشره قلَّ الناس أو كثروا، لكن ينبغي ألا يجعل الميزان هو الكثرة، لا تجعل الميزان هو الكثرة، بل اجعل الميزان هو نشر العلم، وبثه من الكتاب والسنة، وحرصك على ذلك ولو قلَّ الناس، ولو قلَّ الحاضرون.

✍ ولهذا كان الإمام أحمد –رَحِمَهُ الله– في ابتداء تعليمه لا يجلس عنده إلا الرجل والرجلان، ومن أئمة من السلف كبار أهل العلم المتقدمين كانوا كذلك.

✍ واذكر شيخنا الشيخ ابن عثيمين –رحمة الله عليه– أول ما ابتدأ دروسه في المسجد والمكتبة لا يحضر عنده إلا رجلان فقط، إلا اثنين، حتى بعد ذلك اشتهر وعُرِف وانتشر بحمد الله، وأراد الله سبحانه له خيرًا ورفعة، فانتشرت علومه ودروسه في جميع أنحاء العالم إلى عصرنا الحاضر، وهو الآن هو كأنه حيٌّ موجودٌ بيننا بقناته الفضائية، وموقع الإليكتروني، وكتبه المنتشرة شرقًا وغربًا بعد توفيق الله. فنسأل الله سبحانه أن ينفعنا

بعلمه، وأن ينفع المسلمين كذلك، وأن يجمعنا به وبنبينا وبالصالحين، والمرسلين، والنبيين في جنات النعيم، إنه برٌّ رحيم.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ الْبَلَاغِ عَنْ رَسُولِ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَتَعْلِيمِ السُّنَنِ)

قال: أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ حَسَّانَ، عَنْ أَبِي كَبْشَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرٍو -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

وقال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا عَبَّادٌ هُوَ ابْنُ الْعَوَّامِ، عَنْ عَوْفٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: "سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الْعَالِيَةِ، أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مُفْتِيًا؟ فَقُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ لَا آمَنُ أَنْ تَذْهَبُوا وَنَبْقَى، فَقَالَ: صَدَقَ أَبُو الْعَالِيَةِ".

وقال: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ: "مَنْ رَقَّ وَجْهُهُ، رَقَّ عِلْمُهُ".

وقال: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ جَرِيرٍ، عَنْ رَجُلٍ: عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: "لَا يَتَعَلَّمُ مَنِ اسْتَحْيَى وَاسْتَكْبَرَ".

وقال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَدَنِيُّ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ صَدَقَةٍ تَجْرِي لَهُ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

(الشرح)

هذا الباب عقده المصنف -رَحِمَهُ الله- في بيان (**الْبَلَاغِ عَنْ رَسُولِ اللهِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**) يعني التبليغ عنه، ونقل العلم عنه إلى الآخرين (**وَتَعْلِيمِ السُّنَنِ**).

⇦ ثم ذكر حديثًا عظيمًا وهو حديث ثابت في صحيح البخاري حديث (**عَبْدَ اللهِّ بْنَ عَمْرٍو -رَضِيَ الله عَنْهُ-مَا أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال**: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»).

✪ **الشاهد**: قوله: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**») يعني ولو شيئًا يسيرًا، ولو قليلًا، وهذا يدل على أهمية بلاغ العلم ونقله للناس ولو كان قليلًا.

★ **فانظر مثلًا سورة الفاتحة كم آية؟**

سبع آية، بلغ آية واحدة أنت، لو قمت، أو في مجلس مثلًا حضرت في مجلس مجتمع الناس فيه، فقلت: يا إخوان، لو تذاكرنا قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، نحن نقرأها في كل ركعة، ما معنى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]؟

يعني نسأل الله أن يدلنا على الصراط، وأن يثبتنا عليه حتى يتوفانا عليه.

⇐ و﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هو الإسلام.

⇐ ومنهم من قال: القرآن.

⇐ ومنهم من قال: السنة.

⇐ ومنهم من قال: الوحي.

☚ والمراد كله واحد، ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هو الموصل إلى الله سبحانه وإلى دار كرامته.

إذن ليس المقصود من التبليغ ومن الدعوة أن تكون من العلماء لا، بل بلغ ولو شيئًا يسيرًا.

★ **ولهذا يرِد الجواب عن سؤال يطرحه بعض الناس: هل يمكن أن أجمع بين الدعوة والعلم؟**

نقول: نعم، الجواب: نعم، ممكن أن تتعلم وتطلب العلم، ومع ذلك تدعو إلى الله. إذن الدعوة إلى الله ليست حاجزًا بينك وبين طلب العلم، بل إن دعوتك إلى الله ربما تكون ماذا؟ عونًا لك على التحصيل العلمي، وعلى الفهم، والاستمرار في طلب العلم.

✍ ثم إن الدعوة إلى الله هي زكاة العلم، وهذه الزكاة كلما أعطيت منها زادك الله.

يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإنفَاقِ مِنهُ ... وَينقُصُ إن كَفًّا بِهِ شَدَدتا

كما قال الناظم.

⇦ ثم ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- قول (**أبي العالية: "سألت ابْنَ العَبَّاسٍ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الْعَالِيَةِ، أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مُفْتِيًا؟ فَقُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ لَا آمَنُ أَنْ تَذْهَبُوا وَنَبْقَى، فَقَالَ: صَدَقَ أَبُو الْعَالِيَةِ"**) يعني أنه ينبغي للإنسان أن يتعلم حتى يكون بعد ذلك رأسًا يوجه الناس، ويبلغ دين الله إليهم فيما إذا بعد ذلك ذهب العلماء.

⇦ ثم ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- أدب من آداب طالب العلم والداعي إلى الله: ألا يسأل الناس شيئًا، فذكر قول (**إبراهيم النخعي -رَحِمَهُ الله-: "مَنْ رَقَّ وَجْهُهُ، رَقَّ عِلْمُهُ"**).

(مَنْ رَقَّ وَجْهُهُ) يعني بسؤال الناس، فإنه لا يُقبَل منه؛ أرأيت لو أن شخصًا ذهب إلى أناس في مسجد، وجلس يحدثهم ويتكلم عليهم، فلما خلص قال: يا جماعة هل أحد عنده أرض للبيع؟ ما أحد يقبل منك، أنت جاي تعلم الناس، ولَّا جاي تشحت؟

ولهذا **(مَنْ رَقَّ وَجْهُهُ)** يعني سقط وجهه أمام الناس يسألهم لا يستفيدون من علمه؛ ولهذا «**ازْهَد فِيمَا عِنْد النَّاس يُحِبُّكَ**» من؟ «**يُحِبَّك النَّاس**»، يحبونك، ويجلونك، ويقبلون منك، أما أن تسألهم من حطام الدنيا شيئًا، فإنه لا يُقبَل منك ما بثثته إليهم، أو نشرته إليهم من العلم. هذا معنى قول إبراهيم النخعي: **(مَنْ رَقَّ وَجْهُهُ، رَقَّ عِلْمُهُ)**.

⇦ ثم ذكر بعد ذلك قول **(الشعبي)** مثله.

⇦ ثم ذكر أدبًا آخر، وهو **(عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: "لَا يَتَعَلَّمُ مَنِ اسْتَحْيَى وَاسْتَكْبَرَ")** وهذا الأثر علقه البخاري، ورواه مسلم في الصحيح بسنده موصولًا أن مجاهدٍ -رَحِمَهُ الله- قال: **"لا ينال العلم مستحٍ ولا مستكبر"**.

✍ إذن لا تستحي في العلم، اسأل؛ ولهذا الصحابة -رَضِيَ الله عَنْهُم- كانوا يسألون بعض الأسئلة وفيها حياء.

✍ **"جاءت امرأة أبي سلمة وقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، هل على المرأة من غسلٍ إذا هي احتلمت؟ فقال: «نَعَم، إِذَا رَأَت المَاء»"**.

✍ وكان الرجل يأتي لابن عباس -رَضِيَ الله عَنْهُ- ويجلس يضع رأسه على يده عند باب ابن عباس حتى يخرج ابن عباس فيسأله.

✍ إذن نقول: لا يحصل على العلم من استحيى، بل كل ما يُشكِل عليك من أمور دينك فاسأل عنه بلا حياء.

✍ أيضًا المستكبر يُحرَم العلم؛ لأنه لكبره وترفعه على الخلق لا ينال العلم، أرأيت لو أنه متكبر؛ يعني يرى نفسه أنه أعلم من الشيخ الفلاني، أو أنه أكبر منه سنًّا، وأنه قد أوتي من الشهادات ومن الخبرات ما لم يؤته الشيخ أو العالم، فإنه يُحرم علمه.

✍ إذن لا بد أن تتواضع كما تقدم في الأبواب السابقة أن تتواضع لأهل العلم، وأن تعرف لهم قدرهم وتقديرهم، وجهدهم وبذلهم، ثم أيضًا لا تستحي من سؤالهم لا سيما فيما أشكل عليك. أما ما لم يقع فإنك لا تسأل عنه.

⇦ ثم ذكر حديثًا مهمًّا جدًّا وهو حديث (أبي هريرة: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ صَدَقَةٍ تَجْرِي لَهُ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»).

☚ وهذا الحديث ثبت في صحيح مسلم بسنده عن أبي هريرة مرفوعًا، ولفظ الحديث كما هو عندكم «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ»، ويرويه بعض الناس: «إِذَا مَاتَ ابن آدَم»، ليس كذلك.

☚ لفظه الثابت في صحيح مسلم: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ».

✪ **والشاهد من الحديث:** قوله: «إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ» وهذا العلم الذي ينتفع به يشمل الدعوة التي دعا الناس إليها، فانتفعوا بها، أو كتابًا ألَّفه، أو شريطًا بثَّه وسجله فانتشر. **المقصود** أي نوعٍ من أنواع العلم انتفع الناس بها، فإنه يبقى له بعد موته يجري له حسنات بعد موته.

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاع الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنُهُ الشَّيْطَان فِي قُلُوب بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَةَ لَهُم وَيُحَسِّنُهَا فِي أَعْيُنَهم، وَرُبَّمَا قَلَّلَ أَوْ عَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمَعْصِيَة؛ قَلَّل مِنَ شَأْنِ الْبِدْعَة، وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمَعْصِيَة؛ حَتَّى يُقْبِلُوا عَلَى الْبِدْعَةِ، وَيَبْتَعِدُوا عَن الْمَعْصِيَةِ.

❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊

المجلس السابع

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاع الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنَهُ الشَّيْطَان فِي قُلُوب بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَةَ لَهُم.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:-

أيها الإخوة، فإننا نكمل التعليقات على مختارات من مقدمة الإمام الدارمي -رَحِمَه الله- لسننه.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَه الله تَعَالَى-:

(بَابُ الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَاحْتِمَالِ الْعَنَاءِ فِيهِ)

قال: **أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: "لَقَدْ أَقَمْتُ بالمدينةِ ثَلَاثًا مَا لِي حَاجَةٌ، إِلَّا وَقَدْ فَرَغْتُ مِنْهَا، إِلَّا أَنَّ رَجُلًا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَهُ، كَانَ يَرْوِي حَدِيثًا، فَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ فَسَأَلْتُهُ".**

وقال: أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَارَةَ، أخبرنا أَبُو قَطَنٍ عَمْرُو بْنُ الْهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي خَلْدَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: "كُنَّا نَسْمَعُ الرِّوَايَةَ بِالْبَصْرَةِ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمْ نَرْضَ، حَتَّى رَكِبْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَسَمِعْنَاهَا مِنْ أَفْوَاهِهِمْ".

وقال: أَخْبَرَنَا أَبُو مَعْمَرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: "لَوْ رَفَقْتُ بِابْنِ عَبَّاسٍ، لَأَصَبْتُ مِنْهُ عِلْمًا كَثِيرًا".

(الشرح)

هذا الباب عقده المصنف -رَحِمَهُ الله- في بيان (**الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَاحْتِمَالِ الأذى والمشقة في ذلك**).

وهذا الباب قد صُنِّفت فيه مصنفات، فالخطيب البغدادي -رَحِمَهُ الله- صنف كتابًا اسمه [الرحلة في طلب الحديث] وذكر قصصًا وحوادث للأئمة والسلف في تنقلاتهم لطلب حديثٍ واحد، ولطلب أحاديث.

والغرض من الرحلة في طلب العلم:

✪ علو الإسناد، وإلا فبإمكان العالم، أو الشيخ، أو الإمام أن يأخذ الحديث ممن هم في بلده، لكن هم لا يفعلون ذلك؟ يفعلون ذلك طبعًا، لكنهم يزيدون عليه أن ينتقلوا من بلدٍ إلى بلدٍ آخر طلبًا لعلو الإسناد.

✪ وفائدة أخرى وهي التحقق من ثبوت الحديث.

✪ وفائدةٌ ثالثة: حصول الأجر والثواب بالتنقل والرحلة، فإن الإنسان يثاب؛ لأن الإنسان «مَنْ سَلَكَ».

★ تقدم لنا أنه في طريقه للجنة أن يسلك ماذا؟

«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ» فهو إذن الرحلة في طلب العلم لها فوائد: من ضمنها هذه الثلاث الفوائد.

⇦ ذكر (أَبِي قِلَابَةَ، يقول: "لَقَدْ أَقَمْتُ بالمدينةِ ثَلَاثًا مَا لِي حَاجَةٌ، إِلَّا وَقَدْ فَرَغْتُ مِنْهَا، إِلَّا أَنَّ رَجُلًا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَهُ، كَانَ يَرْوِي حَدِيثًا، فَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ فَسَأَلْتُهُ").

⇦ وكذلك (أَبِي الْعَالِيَةِ: "كُنَّا نَسْمَعُ الرِّوَايَةَ بِالْبَصْرَةِ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمْ نَرْضَ، حَتَّى رَكِبْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَسَمِعْنَاهَا مِنْ أَفْوَاهِهِمْ").

⇦ وكذلك قول (أَبِي سَلَمَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- "لَوْ رَفَقْتُ بِابْنِ عَبَّاسٍ، لَأَصَبْتُ مِنْهُ عِلْمًا كَثِيرًا") لكنه مع ذلك كانوا يجتهدون ويجدون ويلازمونهم سواءً كان حضرًا أو سفرًا.

(المتن)

← قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ صِيَانَةِ الْعِلْمِ)

← قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنِ الْحَسَنِ، "أَنَّهُ دَخَلَ السُّوقَ، فَسَاوَمَ رَجُلًا بِثَوْبٍ، فَقَالَ: هُوَ لَكَ بِكَذَا وَكَذَا، وَاللهِ لَوْ كَانَ غَيْرَكَ مَا أَعْطَيْتُهُ. فَقَالَ: فَعَلْتُمُوهَا؟ فَمَا رُئِيَ بَعْدَهَا مُشْتَرِيًا مِنَ السُّوقِ، وَلَا بَائِعًا حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ".

← وقال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ زَيْدٍ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: "مَا أَوَى شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ، أَزْيَنَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ".

وقال: **أَخْبَرَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخبرنا عَاصِمٌ الْأَحْوَلُ، عَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: "زَيْنُ الْعِلْمِ حِلْمُ أَهْلِهِ"**.

وقال: **أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ قَالَ: "مَنْ ضَحِكَ ضَحْكَةً، مَجَّ مَجَّةً مِنَ الْعِلْمِ"**.

(الشرح)

هذا الباب عقده المصنف -رَحِمَهُ الله- ببيان **(صِيَانَةِ الْعِلْمِ)** وأنه ينبغي للعالم وطالب العلم أن يصون علمه من عدم الحلم، ومن السفه، ومن قلة الأدب، ومن عدم المروءة، ولو أن أهل العلم صانوه صانهم، ولكنهم هانوه، صانوه صانهم، ينبغي أن يظهر عليك الوقار والسكينة؛ لأنك لست كغيرك من سائر البشر، أنت تحمل علمًا ليس يحمله غيرك أو سواك، فلا بد أن يظهر أثر علمك عليك من السمة الحسنة، ومن السمت الحسن.

ولهذا انظر كلام أهل العلم سواءً كان ذلك في معاملتك مع الخلق، أو في بيعك وشرائك، أو في معاشرتك لأهلك، أو مع أبنائك وأولادك، لا بد أن يظهر أثر علمك عليك.

ولهذا تأمل النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- كان خلقه ماذا؟ كان خلقه القرآن يأتمر بأوامره، وينتهي عن نواهيه -صلوات الله وسلامه عليه-.

إذن نقول: لا بد أيها الطالب، طالب العلم أن يظهر أثر علمك عليك من صدق الحديث، من ذلك أيضًا صدق الحديث، وعدم إخلاف الموعد، والصدق مع الأهل والأولاد، والصدق قبل ذلك، وبعد ذلك مع رب العباد، وكذلك في عملك، لا بد أن تكون متقنًا له، تحضر في الوقت المحدد، وتخرج بعد ذلك، أما أن تأتي إلى عملك متأخرًا،

وتخرج مبكرًا، وتكثر الاستئذان، أين أثر علمك عليك؟ يعني معناه أنك صار عندك ماذا؟ لم تقم بالأمانة على الوجه الأكمل الذي أؤتمنتها، حصلت منك خيانة.

ولهذا قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- في الحديث الذي سيذكره المصنف في قول (**عَطَاء -رَضِيَ الله عَنْهُ- يقول: "مَا أَوَى شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ، أَزْيَنَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ"**).

الحلم يعني العقل، الحلم هو العقل والحكمة والرأفة؛ يعني الحلم تشمل، كلمة جامعة لكل خُلُقٍ حميد.

✍ ولهذا قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- لأشج عبد القيس «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله: الْحُلُم والآنَاه».

فأما الحلم، الحلم اسمٌ جامع لكل خُلُقٍ حميد من الرأفة، والسمت الحسن، والصدق في الحديث، والموعد المنضبط، وما أشبه ذلك.

✍ ثم ذكر بعد ذلك إلى أن من الأشياء التي ربما تؤثر أو تخدش في صيانة العلم، أو تخدش في العلم كثرة المزاح، المزاح إذا خرج عن حده انقلب إلى ضده، لكن المزاح بقدر، وكونه لا يقول في مزاحه إلا حقًّا هذا لا بأس به؛ ولهذا كان النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يمازح، لكنه كان لا يقول إلا حقًّا.

☚ ثم أيضًا كثرة الضحك، والضحك كما لا يخفى يميت القلب، لكن كثرته؛ يعني من طالب العلم تُذهِب هيبة العلم، هيبة العلم مع طالب العلم أو العالم.

☚ ولهذا انظر ماذا قال علي بن حسين؟ (**"مَنْ ضَحِكَ ضَحْكَةً، مَجَّ مَجَّةً مِنَ الْعِلْمِ"**) وهذا الحديث يقول يعني في سنده ضعف، هذا الأثر في سنده ضعف، **لكن الظاهر والله**

أعلم أن هذا إذا كان ديدنه، أو إذا كان ضحكه ضحكًا هكذا بلا سبب، لكن التبسم، كان النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دائم البُشر، كثير التبسم.

طالب: ....

الشيخ: وهو كذلك من معانيه، أنا قلت لك: كلمةٌ جامعة، اسمٌ جامع لكل خلقٍ حميد.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابٌ: السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ)

قال: أَخْبَرَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ جَابِرٍ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ الْكِنْدِيِّ -رَضِيَ الله عَنْهُ-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَرَّمَ أَشْيَاءَ يَوْمَ خَيْبَرَ الْحِمَارَ وَغَيْرَهُ. ثُمَّ قَالَ: «لَيُوشِكُ بالرَّجلِ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يُحَدَّثُ بِحَدِيثِي فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، مَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، هُوَ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ».

وقال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: "السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ الْقُرْآنُ بِقَاضٍ عَلَى السُّنَّةِ".

وقال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ حَسَّانَ، قَالَ: "كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالسُّنَّةِ، كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ".

(الشرح)

هذا الباب عقده المصنف -رَحِمَهُ الله- لبيان أن (**السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ عَلَى كِتَابِ اللهِ**).

ليس مراده (**قَاضِيَةٌ عَلَى كِتَابِ اللهِ**) يعني ليس المراد أن السنة يُرَد بها القرآن لا، **المراد** أن السنة تبيِّن القرآن وتفسره، وتدل عليه، وتعبر عنه، فما ورد مجملًا في القرآن جاء تفسيره وبيانه في السنة، وما ورد عامًّا في القرآن جاء تفصيله وتخصيصه في السنة.

فمثلًا: قال الله -جَلَّ جلاله-: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[البقرة:٤٣].

★ **الصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة، صلاة الظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع، والفجر ركعتين، هل هذا التفصيل في القرآن؟**

لا، هذا التفصيل في السنة.

✍ إذن نقول قوله: (**قَاضِيَةٌ عَلَى كِتَابِ اللهِ**) ليس المراد القاضية بردها، بل القاضية بالتبيين والتفسير والدلالة والتعبير. هذه أربع أشياء.

✍ ومن أحسن من فصَّل ذلك ابن القيم -رَحِمَهُ الله-، ابن القيم في كتابه [مفتاح دار السعادة] بيَّن أقسام السنة:

- ما ورد مجملًا في القرآن جاء تفصيله في السنة.
- وكذلك السنة التي فعلها النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- على وجه التعبد.
- وكذلك ما فعله النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- على وجه العادة.
- وما فعله أيضًا النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- على وجه الجبلة والعرف.

فالتقسيم الذي ساقه ابن القيم -رَحِمَهُ الله- مفيدٌ جدًّا ويوضح هذا الباب الذي ساقه المصنف.

الشاهد من هذه الأحاديث التي ذكرها:

⇦ طبعًا حديث (الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ الْكِنْدِيِّ) إسناده ضعيف.

⇦ لكن حديث قول (يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ: **"السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ الْقُرْآنُ بِقَاضٍ عَلَى السُّنَّةِ"**) وهو كذلك، وعرفنا معنى قاضية ما المراد.

⇦ وكذلك قول (حَسَّانَ بن عطية: **"كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالسُّنَّةِ، كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ"**) وهذا يدل على أن السنة وحي، كما أن القرآن وحي، وأن الله قد تكفَّل بحفظ السنة، كما أنه سبحانه تكفل بحفظ القرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩].

فالذكر في أصح قولي العلماء يشمل القرآن والسنة؛ ولهذا قال الله -جل جلاله-: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)﴾[النجم:٣-٤].

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ تَأْوِيلِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-)

قال: **أَخْبَرَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا حُدِّثْتُمْ بِالْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَظُنُّوا بِهِ الَّذِي هُوَ أَهْيَأُ، وَالَّذِي هُوَ أَهْدَى، وَالَّذِي هُوَ أَتْقَى".**

➥ وقال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ عِمْرَانَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: "إِنَّ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي عَالِمٍ أَهْلُهُ".

(الشرح)

☚ هذا الباب عقده المصنف -رَحِمَهُ الله- لبيان تأويل وتفسير، (تَأْوِيلِ) يعني تفسير (حَدِيثِ رَسُولِ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-).

✍ وتفسيره يكون بالقول وبالفعل، قد تفسر سنة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- بقوله، فالسنة تفسر بالسنة، و قد يُفسَّر حديث رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- بالفعل.

⇦ ولهذا (قال ابن مسعود: "إِذَا حُدِّثْتُمْ بِالْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَظُنُّوا بِهِ الَّذِي هُوَ أَهْيَأُ، وَالَّذِي هُوَ أَهْدَى، وَالَّذِي هُوَ أَتْقَى").

☚ وهذا لا شك فيه، لأن السنة وكذا القرآن يهديان للتي هي أقوم. قال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩].

﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ في الأقوال والأفعال، والعادات، وفي العبادات، وفي المعاملات، وفي معاشرة الخلق بعضهم لبعض ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ هذه كلمةٌ جامعةٌ مانعة، كذلك السنة، السنة كذلك من اتبعها هُدِي إلى صراطٍ مستقيم.

⇦ ثم ذكر المصنف قول (عِكْرِمَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ-: "إِنَّ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي عَالِمٍ أَهْلُهُ").

★ هذا صحيح؟

صحيح، (أَزْهَدَ النَّاسِ فِي العَالِمِ أَهْلُهُ) لأنهم يعرفوه، يعني هو يعاشرهم ويخالطهم فهم يزهدون فيه؛ ولهذا أنت تجد أن الغريب مقبول عند بعض الناس إذا جاءهم من بعيد

يقبلون منه علمًا، ويقبلون علمه، ويقبلون توجيهه، بخلاف الإنسان العالم اللي عند أهله في قريته وبلده، ربما يزهدون فيه. وهذه العبارة مشهورة متداولة، لكن ليست على إطلاقها، قد يكون إذن القريب يحبون ويجلون ويقدرون العالم الذي هو منهم وفيهم.

طالب: ....

الشيخ: حمامة الدار، يعني يمكن من هذا الباب. صحيح.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ مُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ)

قال: **أَخْبَرَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، وَأَبِي مَسْلَمَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ الله عَنْهُ-، قَالَ: "تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ يُهَيِّجُ الْحَدِيثَ".**

وقال: **أَخْبَرَنَا قَبِيصَةُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: "تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ ذِكْرَهُ حَيَاتُهُ".**

وقال: **أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِّ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "كَانَ الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ الْعُكْلِيُّ، وَابْنُ شُبْرُمَةَ، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ يَزِيدَ، وَمُغِيرَةُ، إِذَا صَلَّوْا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، جَلَسُوا فِي الْفِقْهِ، فَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ إِلَّا أَذَانُ الصُّبْحِ".**

وقال: **أَخْبَرَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، يَقُولُ: "تذاكرَ ابْنُ شِهَابٍ لَيْلَةً بَعْدَ الْعِشَاءِ حَدِيثًا وَهُوَ جَالِسٌ مُتَوَضِّئًا قَالَ: فَمَا زَالَ ذَلِكَ مَجْلِسَهُ حَتَّى أَصْبَحَ". قَالَ مَرْوَانُ: "جَعَلَ يَتَذَاكَرُ الْحَدِيثَ".**

وقال: **أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ طَارِقٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً، وَآفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ".**

(الشرح)

هذا ذكره المصنف -رَحِمَهُ اللهُ- في هذا الباب باب مفيد ومهم وهو فيما يعين على حفظ العلم وهو (**مُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ**) فإن مذاكرة العلم تعين على حفظ العلم، مذاكرته يعني مدارسته، ومطارحة المسائل، ومدوالتها، وتذكير بعضهم بعضًا مما يثبت العلم ويرسخه، وعلى هذا جرى الأئمة -رَحِمَهم الله- فيما بينهم كانوا يتذاكرون العلم، ويتساءلون فيما بينهم، فهذا أدعى لحفظه وتثبيته، وعدم تفلته؛ لأن العلم إذا لم يُذاكر به، وإذا لم يُنشَر، وإذا لم يتذاكره الإنسان نسيه.

وذكر بعض ما يتعلق بقول (**أَبِي سَعِيدٍ: "تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ يُهَيِّجُ الْحَدِيثَ"**) وهذا صحيح.

وكذلك ذكر قول (**عَلْقَمَةَ: "تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ ذِكْرَهُ حَيَاتُهُ"**) وهو كذلك؛ يعني بقاؤه، ومن المعلوم أن مذاكرة الحديث هي حياته وبقاؤه.

وكذلك قول (**عَبْد الرَّحْمن مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ: "كَانَ الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ الْعُكْلِيُّ، وَابْنُ شُبْرُمَةَ، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ يَزِيدَ، وَمُغِيرَةُ إِذَا صَلَّوْا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، جَلَسُوا فِي**

الْفِقْهِ") يعني يتذاكرون بعضهم (**"فَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ إِلَّا أَذَانُ الصُّبْحِ"**) حتى يطلع الفجر، وهذا لا بأس به، وهذا من المذاكرة، ومن السهر المحمود.

❄ **لأن اعلم أن السهر ينقسم إلى قسمين:**

- سهرٌ مذموم.
- وسهرٌ محمود.

فالسهر المحمود: هو في مذاكرة العلم، ومؤانسة الأهل، ومجالسة الضيف. ولَّا لا؟ لو جاءك ضيف بعد صلاة العشاء تقول: مع السلامة، أنا بنام، لا، لك أجر وثواب أن تستقبله وتكرمه، وأنت المأجور على ذلك؛ ولهذا قال -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-: «مَنْ كَانَ يُؤْمِن بِالله والْيَوم الآخِر يُكْرِم ضَيْفَه». طيب، إذن نقول: هذا السهر محمود.

وأما السهر المذموم: فهو أن يكون على أمورٍ محرمة، كمن يجتمعون يلعبوا مثلًا ما يسمى بالبالوت -تعرفون البالوت؟- يعني تجدهم ربما يكون ما فيه أمور محرمة، يعني ما في نقود، إنما فقط لعب مجرد. نقول: هذا سهر مذموم؛ لأنكم تضيعون الوقت على غير نفعٍ وفائدة.

وربما يكون أيضًا سهره على القنوات المحرمة، وعلى الأفلام الخليعة، أو على شبكة الإنترنت العنكبوتية على المواقع الخليعة أيضًا سهرٌ مذموم.

وبهذا التفصيل يظهر لك أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- كان يكره النوم قبلها؛ يعني قبل صلاة العشاء، والحديث بعدها. إذا عرفت لماذا كان يكره الحديث بعدها، عرفت السبب في أنه -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- كان يجتهد في النوم أول الليل، ثم بعد ذلك

يأخذ قسطًا من الراحة ويقوم آخر الليل للصلاة، والذكر، والدعاء، ثم بعد ذلك ينام شيئًا يسيرًا، ثم يستيقظ لصلاة الفجر وهو في تمام النشاط والقوة لأدائها.

وأنت ترى أن الإنسان الذي يسهر في الليل على أمورٍ محرمة، وربما نقول أحيانًا على أمورٍ مباحة إذا سهر إذا ساعة متأخرة تفوته خيرات كثيرة، يفوته أن يناجي به من آخر الليل، إن تيسر ذلك وفقه الله إليه، وربما فاتته صلاة الفجر مع الجماعة، وربما قام لصلاة الفجر، لكنه يقوم إليها متكاسلًا، وفاته أيضًا ثلث أو ربع ساعة بعد صلاة الفجر لذكر الله، وقراءة الآثار الصباحية وما أشبه ذلك، وقراءة ما تيسر ولو يسيرًا من القرآن الكريم.

✍ **وهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ الله- وقد سأله ابن القيم عن الجلوس بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، قال:** {هذه غدوتي، فإذا تركت غدوتي فترت قوتي}.

يعني يتقوى بهذه الفترة وهو من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس يتقوى بها على ماذا؟ على عمله سائر اليوم، على التأليف، وعلى العبادة، وعلى الدعوة، وعلى نفع الناس. فإذا كان قد سهر إلى ساعةٍ متأخرة من الليل لم يستطع أن يبقى في هذا الوقت الفاضل النافع المفيد.

✍ لا سيما أن بعد الفجر يقولون: من بعد صلاة الفجر، إلى طلوع الشمس هناك غاز يسمى بغاز الأوزون يحيط بالكرة الأرضية لا ينتشر إلا بعد صلاة الفجر، وفيه نفع عظيم للبدن، ويفوت الإنسان إذا نام بعد الفجر مباشرة، يفوته هذا الغاز الذي ينتشر ويعطي الجسم حيوية وقوة ونشاطًا.

✍ وهذا ورد في الحديث المروي من وجوهٍ متعددة، لكن قال أبو حاتم: لا أعلم حديثًا صحيحًا فيه: «بُورِكَ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا».

⇦ بقي آفة، ("**آفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ**") هذا من الآفات، وبناءً عليه إذا ذاكره الإنسان، واستحضره، وداوم قراءته، وذاكر أهل العلم وسألهم، واستفسر منهم يكون بعد توفيق الله له قد أبقى علمه ولم ينسه.

(المتن)

⬅ قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ اخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ)

⬅ قال: **أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: "قِلتَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَوْ جَمَعْتَ النَّاسَ عَلَى شَيْءٍ؟ فَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّهُمْ لَمْ يَخْتَلِفُوا" قَالَ: "ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْآفَاقِ وَإِلَى الْأَمْصَارِ: لِيَقْضِ كُلُّ قَوْمٍ، بِمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فُقَهَاؤُهُمْ"**.

(الشرح)

ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله- ما يتعلق بـ(**اخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ**) واختلاف الفقهاء واختلاف أهل العلم قد يكون فيه أحيانًا رحمة، وقد يكون فيه سعة، وقد يكون فيه سعة لا شك، وفيه لا سيما في الأمور التي غير مجمع على مثلًا تحريمها أو إباحتها، الأمور الاجتهادية.

✍ وقد ألف شيخنا -رحمة الله عليه- الشيخ ابن عثيمين رسالة قيمة جدًّا اسمها [أسباب اختلاف العلماء] هي عبارة عن محاضرة ألقاها الشيخ -رَحِمَهُ الله- ثم دونت، سُجِّلت، ثم فُرِّغت، فهي في كتيب.

✍ وقبل ذَّلك: شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ الله- ألف كتابًا اسمه [رفع الملام عن الأئمة الأعلام] يعني الذي يحصل بينهم أحيانًا خلاف في المسائل الفقهية.

❁ **اضرب لك مسألة واحدة فقط: نقض الوضوء من أكل لحم الإبل:**

✍ المذاهب الثلاثة يرون أن لحم الإبل لا ينقض الوضوء: مالك، وأبو حنيفة، والشافعي.

✍ والإمام أحمد يرى أن أكل لحم الإبل ينقض الوضوء قلَّ أو كثر، أكل كرشًا، أو كبدًا، أو مصرانًا، أو لحمًا، وهو أسعد بالدليل؛ لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ثبت عنه في حديثين صحيحين:

✍ أنه قال: «تَوَضَّؤوا مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ».

✍ وقال لما سأله في حديث جابر بن سمرة: **"أنتوضأ من لحوم الغنم؟ قال:** «إِنْ شِئت تَوَضَّأ، وإِنْ شِئْتَ فَلَا تَتَوَضَّأ»، **وقال: أنتوضأ من لحوم الإبل؟ قال:** «نَعَم»**"**.

✍ إذن نقول: لاحظ!

☜ أما الآخرون فعندهم أدلة، ومن أبرزها حديث جابر: **"كان آخر أمرين من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ترك الوضوء مما مست النار"** لكن يقال: هذا حديث منسوخ، ثم إن الحديثين الآخرين الثابتين الصحيحين مقدمان عليه.

المقصود هذا كمثال واحد فقط، لكن من أوسع من ذكر الأمثلة في ذلك وبسطه ابن القيم في كتابه [إعلام الموقعين عن رب العالمين] وهو مطبوع في سبع مجلدات، وهو من أحسن الكتب المصنفة في بيان المسائل التي اختلف فيها الفقهاء، وأجاب طبعًا ذكر أدلتهم وأجوبتهم.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابٌ فِي الْعَرْضِ)

قال: **أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ الْأَحْوَلُ، قَالَ: "عَرَضْتُ عَلَى الشَّعْبِيِّ أَحَادِيثَ الْفِقْهِ، فَأَجَازَهَا لِي"**.

(الشرح)

(الْعَرْضِ) يعني عرض الحديث أو المحدِّث أحاديثه التي سمعها منه بأسانيده عليه.

وهذا ربما يقول مثلًا: أجزتها لك، أو حدِّث بها عني، أو ما أشبه ذلك، وهذا هو أحد ما يسمى مثلها المناولة، ومثلها الإجازة، ومثلها الكتابة، وما أشبه ذلك، وهي طبعًا من أساليب الرواية، أو من طرق الرواية.

وقد ذكر المصنف عندكم يعني آثارًا كثيرة تدل على العرض، وأن هذا كان عند الأئمة المتقدمين، وتلامذتهم معهم؛ ولهذا قال هشام بن عروة كما في بعض الآثار التي ذكرها عن أبيه قال: **"عرض الكتاب والحديث سواء"**.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابُ الرَّجُلِ يُفْتِي بِشَيْءٍ، ثُمَّ يَبْلُغُهُ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَيَرْجِعُ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-)

قال: **أَخْبَرَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ: "يَقُومُ عَنْ يَسَارِهِ، فَحَدَّثْتُهُ عَنْ سُمَيْعٍ الزَّيَّاتِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَقَامَهُ عَنْ يَمِينِهِ، فَأَخَذَ بِهِ"**.

وقال: **أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَ: كَانَ سَلَّامٌ، يَذْكُرُ عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: "إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ خَطَأَ مُعَلِّمِكَ، فَجَالِسْ غَيْرَهُ"**.

(الشرح)

هذا الباب عقده المصنف في بيان حال العالم أو الرجل، أو المحدث، أو الراوي يفتي بشيء، ثم يبلغه عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- خلافه فيرجع إليه.

يعني مثلًا أنت تفتي بشيء، ثم قال لك آخر: يا فلان، هذا ورد فيه حديث، فتقول: استغفر الله وأتوب إليه. إذن أرجع إلى ماذا؟ أرجع إلى الحديث؛ لأن الإنسان بشر يخطئ ويصيب؛ ولهذا لاحظ!

(يقول إبراهيم: "يَقُومُ عَنْ يَسَارِهِ، فَحَدَّثْتُهُ") يعني الإمام والمأموم أين يقف المأموم مع الإمام إذا كان اثنين فقط؟ يقف عن يمين الإمام، فهو يقول: لا، يقوم عن يساره، **(يقول: فَحَدَّثْتُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَقَامَهُ عَنْ يَمِينِهِ، فَأَخَذَ بِهِ")** إذن رجع إليه، وهذه حال أهل العلم قديمًا وحديثًا، متى ما بلغهم عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّم- سنة عملوا بها، ورجعوا عن آرائهم.

ثم ذكر المصنف -رَحِمَهُ الله-: **(بَابُ الرَّجُلِ يُفْتِي بِشَيْءٍ، ثُمَّ يَرى غيره)** هذا مثله أيضًا، مثله وإن لم يرد فيه يعني الأثر الوارد فيه ضعيف مثله. أنه يفتي بالشيء ثم يرى غيره، يرى غيره أرجح مما كان يفتي به، فإنه يرجع إليه.

وهذا ينبغي لك أن تسلكه أنت متى ما أفتيت بشيء، ثم ظهر لك خلاف ما أفتيت به بناءً على ظهور لدليل لك، فيجب عليك أن ترجع إليه.

⇦ فيما يتعلق بقول سلام (**كَانَ سَلَّامٌ، يَذْكُرُ عَنْ أَيُّوبَ، فقَالَ: "إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ خَطَأَ مُعَلِّمِكَ، فَجَالِسْ غَيْرَهُ"**) وهذا في الواقع ليس على إطلاقه، إذا كان الإنسان قد جالس شيخًا يثق بعلمه وخلقه وأمانته فإنه لا حاجة أن يجالس غيره، لكن إذا أراد أن ينوع مثلًا يجعل له في كل ثانية شيخًا معينًا، فهذا صحيح.

وهذا أذكر شيخنا -رَحِمَهُ الله- الشيخ ابن عثيمين كان يحرِّصُنا على أن نبقى عنده، يقول: لا تشتتوا أذهانكم، ابقوا هنا، فإن الإنسان الذي يبقى من ثبت -كان يرددها لنا- يقول: من ثبت نبت؛ يعني الإنسان مثلًا تبقى هنا شهر، ثم تذهب إلى مكة شهر، ثم تذهب إلى الرياض شهر، يضيع عليك الوقت ولم تحصِّل شيئًا، فأنت حصِّل عند شيخك العلم بجميع فنونه، ثم بعد ذلك إن أردت فلا بأس.

⇦ ثم ذكر المصنف بعد ذلك: (**بَابٌ: فِي إِعْظَامِ الْعِلْمِ**) وذكر -رَحِمَهُ الله- **قول ابْنُ مُنَبِّهٍ**.

(المتن)

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بَابٌ: فِي إِعْظَامِ الْعِلْمِ)

قال: **أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ الْأَسْوَدُ، قَالَ: قَالَ ابْنُ مُنَبِّهٍ: "كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيمَا مَضَى، يَضَنُّونَ بِعِلْمِهِمْ عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيَرْغَبُ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي عِلْمِهِمْ، فَيَبْذُلُونَ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ، وَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ الْيَوْمَ بَذَلُوا عِلْمَهُمْ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، فَزَهِدَ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي عِلْمِهِمْ، فَضَنُّوا عَلَيْهِمْ بِدُنْيَاهُمْ"**.

(الشرح)

("يَضَنُّونَ") يعني يتهمون.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[التكوير:٢٤] أي بمتهم.

وهذا لا شك أنه يرغب أهل الدنيا في علمهم. وهذا ظاهر أن كل إنسان يُعْظِم العلم ويصونه فإن الناس يقدرونه ويحترمونه.

ثم ذكر المصنف آخر باب وهو **(بابُ رِسَالَةُ عَبَّادِ بْنِ عَبَّادٍ الْخَوَّاصِ الشَّامِيِّ)**

لكن هذه الرسالة في إسنادها ضعف.

وبهذا نكون قد انتهينا بحمد الله من التعليق على مختارات من مقدمة الإمام الدارمي -رَحِمَهُ الله-، وكما سمعتم وقرأتم ورأيتهم هذه المقدمة مليئة بالفوائد والنكت العلمية.

نسأل الله سبحانه وبحمده أن ينفعنا بما علمنا إنه جوادٌ كريم، برٌّ رحيم، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

كُل مَا خَالَفَ الْكِتَاب وَالسَّبِيل وَالسُّنَّة فَهُوَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَاتِّبَاع الْأَهْوَاء مِمَّا يُزَيِّنَهُ الشَّيْطَان فِي قُلُوب بَعْض النَّاسِ، يُزَيِّنُ الْبِدْعَةَ لَهُم وَيُحَسِّنُهَا فِي أَعْيُنَهِم، وَرُبَّمَا قَلَّلَ أَوْ عَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمَعْصِيَة؛ قَلَّلَ مِنَ شَأْنِ الْبِدْعَة، وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِ الْمَعْصِيَة؛ حَتَّى يُقْبِلُوا عَلَى الْبِدْعَةِ، وَيَبْتَعِدُوا عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁